التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 207 السنة 23 - فبراير 2025

لنردّ لمؤسسات مجتمعنا المدني دورها

موقفنا

ترامب وتهجير سكّان غزة

ما أن أُعلن عن الهدنة في قطاع غزّة، وبدأت أولى خطوات تنفيذ ما اتفق عليه، بوساطة مصرية – قطرية – أمريكية، حت شنّت قوات الاحتلال الصهيوني حرباً في الضفة الغربيّة، خاصة في جنين، مستهدفة المدنيين، بمن فيهم النساء والأطفال، الذين وجدوا أنفسهم مضطرين لمغادرة بيوتهم وبلداتهم، تماماً كما حدث مع أشقائهم في غزّة، علماً بأنّ حكومة نتنياهو العنصرية تُخالف ما اتفق عليه وتفتعل العقبات لتعطيل تنفيذ ما نصّ عليه الاتفاق الذي وافقت عليه مكرهة، بعد أن تعذّر على قواتها استعادة أسراهم في غزّة بالقوّة، رغم ما ارتكبته من جرائم بحقّ أهالي القطاع، وحجم الدمار الذي ألحقته بمدنه وبلداته.

لا يحتاج المراقب لجهدٍ كبير كي يلاحظ أنّ الصهاينة وسادتهم الأمريكان، خاصة في شخص الرئيس العائد إلى البيت الأبيض، دونالد ترامب، أرادوا أن يجعلوا من هذه الهدنة مجرد محطّة مؤقتة، ينطلقوا منها نحو فصل جديد من العدوان على الشعب الفلسطيني ومواصلة العمل على تصفية قضيته الوطنية العادلة، ولم تكن مصادفة أن يبدأوا بحربهم على جنين التي كانت في مقدّمة مدن الضفة الغربيّة التي تصدّت لقوات الاحتلال بشجاعة طوال شهور العدوان على غزّة، وفشل العدو الصيوني في اخضاعها رغم الحملات والمداهمات المتصلة بكافة أنواع الأسلحة والجرّافات والطائرات.

يعلن قادة جيش العدو أنّ معركة جنين ليست سوى البداية في الحرب التي يخططون لها في الضفة، كأنّهم يريدون بذلك مواصلة ما بدأوه في غزّة، وتكرار نفس سيناريو القتل والتدمير والتهجير والاغتيالات الممنهجة لقادة المقاومة الميدانيين، ضمن مخطط أشمل أفصحت عنه تصريحات ترامب بأنّه طلب من الملك الأردني والرئيس المصري الموافقة على ترحيل سكّان غزّة وتسكينهم في البلدين، في مسعى لتفريغ القطاع من اهله، وإنهاء مقاومة الاحتلال فيه، تمهيداً لما هو أخطر: ضمّ القطاع والضفة الغربيّة إلى دولة الاحتلال، بدعم وتغطية أمريكية، في تكرار لإعلان ضمّ القدس والجولان السورية.

لذا علينا توقع ضغوطات أمريكية كبيرة ستمارس على الدول العربية وابتزازها، لتمرير المخطط الأمريكي – الصهيوني، الذي بانت معالمه أكثر من أي وقت مضى، بل أن ترامب أفصح عنه بوضوح في حملته الانتخابية، حين قال إنّ مساحة إسرائيل صغيرة، ويجب أن تصبح أكبر بضمّ أراض فلسطينية إليها، وها نحن وجهاً لوجه أمام هذا المخطط.

التقدمي

المنبر التقدمي يهنئ البحرين بفوز المنتخب الوطني ويؤكد أهمية تعزيز الوحدة الوطنية

هنأ المنبر التقدمي شعب البحرين بالإنجاز الرياضي الكبير الذي حققه المنتخب الوطني لكرة القدم بفوزه ببطولة الخليج العربي، مؤكداً أن هذا الاستحقاق جاء عن جدارة واستحقاق، ويعكس القدرات والمهارات العالية التي يمتلكها شباب البحرين.

وأشار المنبر التقدمي إلى أن مشاعر الفرح التي عمت أرجاء البحرين تجاوزت البعد الرياضي، لتؤكد أواصر الترابط الوطني العابر للطائفية والمناطقية، وهو ما يعكس معدن الشعب البحريني الأصيل وحرصه على وحدته الوطنية ورفضه لأي محاولات لإثارة الفرقة بين مكونات الوطن.

وفي بيان صدر عقب اجتماع المكتب السياسي للمنبر التقدمي برئاسة الأمين العام عادل متروك، أعرب عن تطلعه لأن يشهد العام الجديد مزيداً من الإنجازات الوطنية التي تدخل الفرح على الشعب البحريني، داعياً إلى البناء على هذا الإنجاز الرياضي لتكريس الوحدة الوطنية وتعزيز القواسم المشتركة التي توحد البحرينيين.

المنبر التقدمي التزامه بمواصلة العمل من أجل تعزيز الوحدة الوطنية والدفاع عن حقوق الشعب البحريني ومكتسباته.

رفض تعديلات قانون الجمعيات ودعوة لدعم منظمات المجتمع المدني

أعلن المنبر التقدمي رفضه التعديلات المقترحة على قانون الجمعيات والأندية الاجتماعية والثقافية والهيئات الخاصة، معتبراً أن هذه التعديلات تقوض الحريات العامة وتنتقص من دور السلطة القضائية لصالح السلطة التنفيذية، ما يشكل تدخلاً في شؤون الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني. ودعا إلى إصدار قانون عصري يضمن حرية عمل هذه المنظمات، ويلغي العقوبات الجنائية والإدارية المفروضة عليها.

تحذير من خصخصة قطاع النفط والغاز

كما أعرب المنبر التقدمي عن قلقه من التعديلات الأخيرة على المرسوم الخاص بتأسيس الشركة القابضة للنفط والغاز، مشيراً إلى أن هذا التحول نحو خصخصة إدارة الموارد الوطنية يمثل تخلياً عن دور الدولة في حماية المكتسبات الاجتماعية، ما يشكل تهديداً للأمن الوطني بمختلف أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وأشاد بموقف كتلة «تقدم» البرلمانية لرفضها إقرار هذه التعديلات.

فعاليات قادمة وإحياء ذكرى وطنية

واستعرض الاجتماع ترتيبات عقد ورشة عمل حول تقرير الرقابة المالية والإدارية بالتعاون مع مؤسسات أهلية، إلى جانب الاستعدادات لعقد المنتدى الفكري السنوي والمؤتمر العام للتقدمي في نهاية فبراير.

كما أعلن الحزب عن خطط لإحياء الذكرى السبعين لتأسيس جبهة التحرير الوطني في البحرين، التي قدمت إسهامات نضالية بارزة على مدار تاريخها. وأكد

الجمعيات ترحب باتفاق وقف العدوان على غزة وتؤكد دعمها للقضية الفلسطينية

أصدرت الجمعيات البحرينية بياناً مشتركاً ترحب فيه باتفاق وقف العدوان على قطاع غزة، مشيرةً إلى أهمية هذا الاتفاق كخطوة أولى نحو تحقيق العدالة وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي بشكل كامل.

وأكد البيان الذي وقعه: المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، التجمع القومي، التجمع الوحدوي، على ضرورة محاكمة مرتكبي جرائم الحرب من عناصر جيش الاحتلال وتفعيل نصوص القانون الدولي لضمان حقوق الشعب الفلسطيني. وشددت الجمعيات على أهمية الضغط الدولي لوقف انتهاكات الاحتلال والعمل على إنصاف ضحايا العدوان الإسرائيلي.

وأشادت الجمعيات بالمقاومة الفلسطينية التي نجحت في صد آلة الحرب الإسرائيلية، مؤكدةً أن المقاومة حق شرعي كفلته القوانين الدولية للشعوب الواقعة تحت الاحتلال. كما دعت إلى ضمان عودة النازحين إلى ديارهم وتوفير الاحتياجات الإنسانية والطبية الضرورية.

وأشار البيان إلى فشل الاحتلال الإسرائيلي في تحقيق أهدافه العدوانية التي سعت لتحويل غزة إلى «أرض محروقة»، حيث لم يتمكن من كسر إرادة الشعب الفلسطيني أو المقاومة، ما يؤكد زوال أسطورة «الجيش الذي لا يقهر».

وفي سياق متصل، حذرت الجمعيات من خطورة التطبيع مع الاحتلال الإسرائيلي، واعتبرته دعماً ضمنياً لانتهاكاته وجرائمه. وطالبت الدول العربية والإسلامية بعدم منح الشرعية للاحتلال وإلغاء جميع أشكال التطبيع احتراماً لدماء الشهداء.

كما دعا البيان المجتمع الدولي والمؤسسات الإنسانية إلى تحمل مسؤولياتهم في إعادة إعمار غزة وفتح المعابر بشكل دائم لتوفير الاحتياجات الإنسانية، مؤكداً أن وقف العدوان يجب أن يكون بداية لعملية إعمار شاملة تعيد الكرامة والحقوق لسكان القطاع.

فضفضة

الوصفة السحرية

عيسى الدرازي

لا يكاد يمر فصل تشريعي إلا ويتم تشكيل لجنة تحقيق برلمانية في مواضيع ذات صلة بالتوظيف أو البطالة أو البحرنة. وآخر تلك اللجان التي رمت أوزارها هي لجنة التحقيق البرلمانية بشأن بحرنة الوظائف في القطاعين العام والخاص، والتي تمخّض تقريرها الذي رفعته للحكومة عن العديد من التوصيات، أبرزها: مواءمة التعليم وسوق العمل عبر إنشاء لجنة وطنية تضمّ جهات حكومية وأكاديمية لتحقيق هذا الهدف، تثبيت البحرينيين بعقود مؤقتة في القطاعات الحكومية والشركات الحكومية، ابتعاث المواطنين لدراسة التخصصات النادرة لضمان تأهيل البحرينيين لشغل الوظائف المتخصصة، وحصر الوظائف القيادية والموارد البشرية على البحرينيين في القطاع الخاص، وزيادة نسب البحرنة في مختلف القطاعات، خصوصًا تلك التي تزخر بأعداد كبيرة من الخريجين والعاطلين.

هذه ليست أولى اللجان البرلمانية التي تتناول مواضيع ذات صلة بالتوظيف والبطالة واختلالات سوق العمل وبحرنة الوظائف. العديد من لجان التحقيق عملت واجتهدت وسعت وأصدرت خلاصة أعمالها في تقارير برلمانية ذات وزن ثقيل، ولكن في المقابل، لا تزال المشكلة قائمة وتزداد تفاقمًا.

لجان التحقيق البرلمانية، على اختلاف اتجاهاتها، لا يبدو أنها ذات فعالية حقيقية. السبب يكمن في طبيعة تكوين تلك اللجان البرلمانية، حيث يحدّ عملها إطار اللائحة الداخلية، ما يقصر دورها على اقتراح التوصيات ورفعها للحكومة دون إلزام بتنفيذها أو مراقبتها أو متابعة التوصيات مع الجهات ذات العلاقة في الجهاز التنفيذي. هذه إشكالية من المهم معالجتها إن كانت هناك رغبة حقيقية في العمل وفق مفهوم دولة المؤسسات.

ليست هناك وصفة سحرية لعلاج مشكلة اختلالات سوق العمل. منذ 2002، صدرت العديد من تقارير وتوصيات لجان التحقيق البرلمانية، وكذلك قدّم الكثير من الخبراء الأكاديميين والمختصين دراسات وبيانات وتحليلات للوضع الراهن ومسارات الحل. المشكلة تكمن فيمن يصغي لكل ذلك، وفي وجود رغبة جادة لحل هذه الإشكالية التي باتت تؤرق الجميع.

في ورشة حول تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية

مناقشة تحديات الاقتصاد البحريني ودعوة إلى إصلاحات جذرية

بتنظيم مشترك بين كلّ من المنبر التقدمي والتجمع القومي وجمعية الشفافية البحرينية والاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، عُقدت في مقر «التقدمي» ورشة عمل لمناقشة تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية لعام 2023، حيث شارك فيها عدد من الناشطين والباحثين، من بينهم الدكتور حسن العالي من جمعية التجمع القومي، والأستاذ علي العصفور من الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، والأستاذ شرف الموسوي من جمعية الشفافية البحرينية، والخبير الاقتصادي الدكتور محمد الصياد الذي قدّم ورقة المنبر التقدمي. تناولت الورشة التحديات الاقتصادية التي تواجه البحرين، مع تسليط الضوء على إدارة المال العام، الأداء الحكومي، وسوق العمل.

التخلي عن نموذج الدولة التنموية

قال د. محمد الصياد إنه على أهمية الاصدارات السنوية لتقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، فهي لا تعدو أن تكون في المحصلة سوى آلية للكشف الجزئي عن بعض الأعراض التي تعتور الأداء الحكومي على صعيديه المالي والإداري. فالأصل هما نموذج التنمية السائد، والسياسات الاقتصادية، اللذان يُنشِآن الخطط والبرامج الحكومية المتصلة مباشرة بميزانية المشاريع وكيفية تخصيص الموارد، المادية والبشرية، لتنفيذ البرامج والخطط الحكومية. هل النموذج التنموي الذي نعمل به منذ مطلع الألفية الثالثة، الذي تم خلاله التخلي عن نموذج الدولة التنموية الذي عملنا به منذ الاستقلال في 1971، واتباع سياسات اقتصادية تحريرية لعدد من القطاعات الاقتصادية المفتاحية – هو النموذج القابل للاستمرار بعد اختباره واتضاح اختلالاته على أكثر من صعيد؟

وتساءل الصياد: هل تسيب بعض السياسات الاقتصادية المتعلقة ببعض القطاعات ومنشطات الدورة الاقتصادية، مثل سوق العمل وقطاع العقار، وقطاع تجارة التجزئة وقطاع الصحة وقطاع التعليم، يمكن أن تعوضه الأداة الرقابية التي يمثلها تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية؟

مخاطر خصخصة مشاريع النفط

استعرض الأستاذ شرف الموسوي، عضو جمعية الشفافية البحرينية، قضايا تتعلق بإدارة الشركات الحكومية والشفافية في الحساب الختامي للدولة. ولفت الانتباه إلى الفروقات الكبيرة وغير المفسرة في الإيرادات الفعلية مقارنة بالتقديرات، لا سيما في قطاعي النفط والغاز. وأشار إلى أن حقل البحرين سجّل إيرادات أقل من المتوقع بفارق 237 مليون دينار، بينما بلغت

الفروقات في إيرادات الغاز 309 ملايين دينار، من دون أي تفسير واضح لهذه الفروقات في الحساب الختامي.

كما أبدى الموسوي قلقه إزاء خصخصة مشاريع النفط، مشيرًا إلى قرار بيع أجزاء من البنية التحتية النفطية لشركات أجنبية مثل «بلاك روك». وأكد على أهمية إعادة النظر في هذه القرارات، مطالبًا بتوجيه الاستثمارات إلى جهات وطنية للحفاظ على السيادة الاقتصادية. وأضاف أن غياب الشفافية في إدارة الإيرادات النفطية يشكل تهديدًا للاستقرار المالي، داعيًا إلى تحسين تقارير الحساب الختامي لتكون أكثر تفصيلًا وشمولية.

سوء إدارة الاستثمارات

ناقش الدكتور حسن العالي، ممثل جمعية التجمع القومي، الأداء المالي والإداري للشركات الحكومية، مشيرًا إلى الخسائر المستمرة لشركة «طيران الخليج». وأوضح أن الشركة سجلت مؤشرات سلبية، مثل انخفاض نسبة الإشغال وإطلاق رحلات غير مربحة، فضلاً عن منح تذاكر سفر مجانية لموظفيها وأعضاء مجلس إدارتها. وشدد العالي على أن هذه المشكلات مستمرة منذ سنوات دون تدخل فعال، متسائلًا عن جدوى استمرار الشركة في ظل هذه الخسائر.

كما سلط العالي الضوء على وضع شركة «أصول»، التي تدير استثمارات التأمينات الاجتماعية. وأوضح أن استثمارات الشركة انخفضت بنسبة 38٪ خلال ثلاث سنوات، من 2.6 مليار دينار في 2019 إلى 1.6 مليار دينار في 2023، مما يهدد استدامة صناديق التقاعد. وأشار إلى سوء إدارة الاستثمارات، حيث انخفضت عائدات استثمارات الشركة مقارنة بالمستويات العالمية. ودعا العالي الحكومة ومجلس النواب إلى التدخل السريع لمعالجة هذه التحديات وضمان استمرارية صناديق التقاعد.

سوق العمل والبطالة

بدوره، تناول الأستاذ علي العصفور، ممثل الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، قضايا سوق العمل والبطالة. وأشار إلى أن البحرينيين يواجهون صعوبة متزايدة في الحصول على وظائف بسبب ارتفاع تكلفة العمالة الوطنية مقارنة بالوافدة. وأوضح أن نسبة البحرينيين العاطلين عن العمل ارتفعت من 3.66٪ في 2018 إلى 6.33٪ في 2023، مشيرًا إلى أن الفجوة بين تكاليف العمالة البحرينية والوافدة وصلت إلى 90٪ لصالح العمالة الأجنبية. كما دعا العصفور إلى اعتماد حد أدنى للأجور يبلغ 700 دينار بحريني، مؤكدًا أن ذلك سيحسن القدرة الشرائية للمواطنين ويعزز استقرار الأسر البحرينية. وأضاف أن تعزيز «البحرنة» في القطاعين العام والخاص يتطلب سياسات أكثر صرامة لتشجيع الشركات على توظيف البحرينيين وتوفير برامج تدريبية لرفع كفاءتهم.

تطرقت الورشة أيضًا إلى ملف الدين العام، حيث أشار المشاركون إلى أن الدين العام بلغ 18 مليار دينار في عام 2024، مع توقعات بزيادة هذا الرقم في السنوات المقبلة. وأوضح شرف الموسوي أن فوائد الدين العام ارتفعت بنسبة 15٪ في عام 2023 لتصل إلى 843 مليون دينار مقارنة بـ736 مليون دينار في العام السابق. ودعا المشاركون إلى إنشاء جهاز مستقل لإدارة الدين العام ووضع سياسات لضبط الاقتراض وخفض معدلات الفائدة.

التوصيات

اختتمت الورشة بتوصيات واضحة تهدف إلى معالجة التحديات الاقتصادية الملحة. دعا المشاركون إلى تعزيز الشفافية في تقارير الحساب الختامي، تحسين أداء الشركات الحكومية، ومراجعة سياسات الدعم الحكومي لتكون أكثر كفاءة وعدالة. كما أوصوا بإصلاحات شاملة لسوق العمل تشمل تقليل الفجوة بين العمالة الوطنية والوافدة، وتحسين بيئة العمل لتكون أكثر جذبًا للبحرينيين.

وشدد المتحدثون على أهمية التكاتف بين جميع الأطراف، بما في ذلك الحكومة ومجلس النواب والمجتمع المدني، لضمان تحقيق التنمية المستدامة والرفاه الاقتصادي. وأكدوا أن هذه التحديات تتطلب رؤية استراتيجية شاملة تضع مصلحة المواطن البحريني في صلب الأولويات.

هشام عقيل في «ملتقى التقدمي»

العـــالـــم يعيش عصـــر الكـــارثـــة

ضمن فعاليات ملتقى الأحد الأسبوعي قدّم الباحث هشام عقيل ندوة فكرية تحت عنوان (عصر الكارثة: الكارثة الرأسمالية القادمة) يوم الأحد 12 يناير 2025. تناولت موضوعات متعددة، كالكارثة الرأسمالية الأخيرة، وموت اليسار التقليدي، والتآلفية.

في البداية، طرح عقيل فكرته القائلة إن البشرية تعيش في عصر الكارثة حالياً، الذي يعرّفه كالتالي: «نهايةُ العَالم، خَرابُ العُمرانِ البَشَريّ، ونَهاية الحَياةِ البَشَريّة، وانقراضِ الإنسان». مشيراً إلى أن هذا هو ناموسُ العَالم، إنَّهُ العَقلُ الأزليّ الحَيّ. وَحدَهُم النّطقاء مَن يَستَطيعونَ الانصاتَ إلى صَوتِ المَنطوق المنذر بالخطر.

بعد أن قام عقيل بتعريف عصر الكارثة، باشر في موضوعه المثير للجدل: موت اليسار التقليدي، معللاً: «إنَّ مصيرَ كُلِّ حَرَكةٍ ثوريّةٍ عظمى واجهت انهياراً عظيماً هوَ التّشتّتُ إلى فصائلَ، ومذاهبَ، وطوائفَ متعدّدة. (...) مَن سَيُنكرُ أنّ الحَركةَ اليساريّةَ اليوم تواجهُ انهياراً كهذا؟ مَن سينكرُ أنّ كُلَّ مذاهبها متفرّقةٌ ولا تقومُ عَلَى أساسٍ متينٍ وواضح؟ بعدَ دُخولِنا في عصرِ الكارثة، لم يعُد اليسَارُ، بشكلِهِ التّقليديّ، قادراً

عَلَى التّعاملِ مَعَ هذه الوقائعِ الجديدة، إذ إنّهُ ناكرٌ لعصرِ الكارثة، ولجديدِ علمِ العُمران، ولجديدِ التّآلفيّة. في التّعريف، ليسَ عصرُ الكَارثةِ عصرَ الخرابِ العمرانيّ للرّأسماليّةِ فحسب، بل عصرَ نهايةِ الحضارةِ البشريّةِ بأكملها، وانقراضِ النّوعِ البشريّ كذلك. يدعونا هذا الواقعُ الجديدُ إلى فهمٍ جديدٍ لَه، وإلى ممارسةٍ سياسيّةٍ جديدة، إذ إنّنا نعيشُ حالةً غيرَ مسبوقةٍ بالنّسبةِ إلى الحضارةِ البشريّة".

طرح عقيل بديلاً لما وصفه باليسار التقليدي الميت، وللرأسمالية التي تموت متسائلاً: "هَل الحَلُّ يَكمنُ في العَالمِ المُتعدّد الأقطاب؟ أم لَعلَّهُ يَكمنُ في «إنقاذ» العَالَم من كَارثته؟. مَن يُؤمنُ بهذه الحلول، يُؤمنُ بالحُلول النّصفيّة، وَتخلّي عَن الاشتراكيّة كُلّيّاً. اليوم لا يَحقُ لأيِّ أحَد أن يُسمّي نفسهُ يساريّاً، أو اشتراكيّاً، مَا لَم يَكن تآلفيّاً. وانتقد هشام مؤيدي العالم المتعدد الأقطاب، مؤكداً أنه ليس بديلاً للرأسمالية المنهارة، وإنما هو دلالة على انهيارها: "مَن يُؤمنُ بالعَالم المُتعدّد الأقطاب، هُوَ مساهِمٌ فعّال في تَشكيلِ الكَارثة، لأنَّهُ مشاركٌ في النُّكران.

واختتم عقيل الندوة بطرح ما يراه بديلاً، وهو يكمن في ما يسميه التآلفية، وقام بموازاته بالخلاص، المبني على المنطلقات التالية: الكَارثة اقتربت ساعتُهَا، اتّباعَ الحَياة التّآلفيّة هُوَ الخَلاصُ الوَحيد، تأديةِ الألفةِ للمتآلفينَ.

الاتحاد العام والاتحاد الحُر: تقارير تعكس واقع القضايا العمالية في البحرين لعام 2024

شهد عام 2024 نشاطًا ملحوظًا في القضايا العمالية التي تلقتها نقابات العمال في البحرين. أصدر الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين تقريره الشهري لديسمبر 2024، معلنًا استلامه 18 شكوى عمالية، تقدم بها 14 عاملاً و4 عاملات، إضافة إلى 61 طلب مساعدة ومشورة. وتركزت 13 قضية حول الفصل، منها 11 حالة مرتبطة بإعادة الهيكلة وفق المادة 110، بينما توزعت بقية القضايا على قطاعات التجارة (8 قضايا)، والإنشاءات (5 قضايا)، وغيرها.

على مدار العام، سجل الاتحاد العام 318 شكوى عمالية، منها 245 للرجال و73 للنساء، إلى جانب 565 طلب مشورة. تصدر قطاع التجارة القضايا بـ193 قضية، تلاه الإنشاءات بـ43 قضية، فيما بلغت قضايا الفصل التعسفي 73 حالة.

من جهته، أعلن الاتحاد الحُر لنقابات عمال البحرين عن تلقيه 158 قضية خلال العام نفسه، تخص 468 عاملاً، مقارنة بـ127 قضية في عام 2023. وأوضح نائب رئيس الاتحاد، أحمد عقيل فقيهي، أن أبرز القضايا تمثلت في الفصل التعسفي (51 قضية)، وتأخير صرف الرواتب والمستحقات (84 قضية).

وأشار الاتحاد الحُر إلى أن 92٪ من القضايا الواردة تعود إلى العمالة الأجنبية، مع التأكيد على التعامل مع جميع القضايا دون تمييز. وأكد أن الحلول الودية حققت نجاحًا في 70٪ من الحالات، بينما حُوّلت القضايا الأكثر تعقيدًا، كعدم دفع الرواتب أو التعويضات، إلى المحاكم. وأجمع الاتحادان على التزامهما بدعم حقوق العمال، وتعزيز بيئة عمل عادلة، ومواصلة العمل على معالجة القضايا العمالية بفعالية.

زيادة استقطاع اشتراكات «صاحب العمل»

حذرت منظمة العمل الدولية في تقريرها "الآفاق العالمية للعمل والتوقعات الاجتماعية: اتجاهات 2025" من أن تباطؤ الاقتصاد العالمي يعرقل التعافي الكامل لأسواق العمل. وأفاد التقرير بأن معدل البطالة العالمي استقر عند 5٪ في عام 2024، بينما ظلت بطالة الشباب مرتفعة عند 12.6٪.

وأشار التقرير إلى أن العمالة غير الرسمية والفقر في العمل عادا إلى مستويات ما قبل الجائحة، مع مواجهة البلدان ذات الدخل المنخفض صعوبات كبيرة في توفير وظائف لائقة.

وتناول التقرير تحديات رئيسية، منها التوترات الجيوسياسية وتكاليف التغير المناخي وأعباء الديون، التي تضغط على أسواق العمل. ورغم انخفاض التضخم، إلا أنه لا يزال يؤثر سلبًا على قيمة الأجور.

وشهدت معدلات المشاركة في القوى العاملة تباينًا بين الدول، حيث ارتفعت في البلدان ذات الدخل المرتفع، خاصة بين النساء وكبار السن، بينما تراجعت في الدول ذات الدخل المنخفض. كما لفت التقرير إلى انخفاض مشاركة الرجال الشباب، خاصة في الدول النامية، حيث يجد الكثيرون صعوبة في الالتحاق بسوق العمل أو التعليم أو التدريب.

وقدر التقرير فجوة الوظائف العالمية – أي عدد الراغبين في العمل دون إيجاد فرص – بحوالي 402 مليون شخص، مشيرًا إلى أنها قد تظل مستقرة خلال العامين المقبلين.

كما سلط الضوء على إمكانات خلق وظائف جديدة في مجالات الطاقة المتجددة والتقنيات الرقمية، إذ وصلت الوظائف في الطاقة الخضراء إلى 16.2 مليون وظيفة عالميًا، معظمها في شرق آسيا.

ودعا المدير العام لمنظمة العمل الدولية، غيلبرت هومبو، إلى العمل العاجل لتعزيز الإنتاجية، وتوسيع الحماية الاجتماعية، والاستثمار في التدريب والبنية التحتية لضمان مستقبل أكثر عدلاً واستدامة.

عبدالنبي سلمان: خلل في سياسات التوظيف يستلزم استراتجية وطنية شاملة

قال النائب الأول لرئيس مجلس النواب عبدالنبي سلمان، خلال مداخلة له بجلسة النواب حول تقرير لجنة التحقيق النيابية في البحرنة، أن ثمّة خلل واضح في سياسات التوظيف، مؤكدًا الحاجة لمعالجة دقيقة مبنية على استراتيجية وطنية واضحة لمقاربة موضوع التوظيف والبطالة.

واعتبر أن غياب الاستراتيجية الواضحة والشاملة أدى لاستمرارية مشكلة البطالة، داعيًا لبذل مزيد من الجهود في هذا السياق.

وقدم سلمان مثالا حول وجود أكثر من 20 ألف أجنبي يعمل في وظيفة «محاسب» في القطاع الخاص بالمملكة، يقابله وجود أكثر من 1400 خرّيج بحريني في تخصص المحاسبة، مستغربًا من وجود هذا العدد من العاطلين في تخصص المحاسبة وعدم القدرة على توظيفهم مقابل وجود آلاف من الأجانب في ذات المهنة، وقال «هذا الأمر ينطبق على الكثير من التخصصات الأخرى».

كما تحدث سلمان في مداخلته عن خروج بعض الكفاءات البحرينية من المملكة، وهو أمر يستلزم التعامل الجاد والسريع مع هذا الأمر.

يشار إلى أن المجلس ناقش التقرير النهائي للجنة التحقيق البرلمانية بشأن بحرنة الوظائف في القطاعين العام والخاص، وقرر المجلس الموافقة على مقترحات اللجنة وإحالتها إلى الحكومة.

«الأيام» – 15 يناير 2025

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

الاتحاد العام لعمال البحرين يتلقى 18 شكوى عمالية في ديسمبر 2024

أعلنت لجنة الرصد في أمانة القطاع الخاص بالاتحاد العام لنقابات عمال البحرين عن تلقيها 18 شكوى عمالية خلال شهر ديسمبر 2024. وتضمنت الشكاوى المقدمة 14 من العمال و4 من العاملات، إضافة إلى 61 طلب مساعدة ومشورة عمالية من 40 عاملاً و21 عاملة.

وأفاد التقرير بأن 13 شكوى تناولت قضايا الفصل، فيما تعلقت 5 قضايا بالحقوق. ومن بين قضايا الفصل، سُجلت 11 قضية تحت بند المادة 110 المتعلقة بإعادة الهيكلة أو الإغلاق، وقضية واحدة بموجب المادة 111 للفصل التعسفي، وأخرى تحت المادة 21 الخاصة بالفصل خلال فترة التجربة.

توزعت الشكاوى على القطاعات المختلفة، حيث سجل قطاع التجارة 8 قضايا، تلاه قطاع الإنشاءات بـ 5 قضايا، وقضية واحدة لكل من القطاعات المالية، النقل والاتصالات، الصناعة، الأمن، والخدمات.

على مدار عام 2024، تلقى الاتحاد العام 318 شكوى عمالية، منها 245 من الرجال و73 من النساء. كما استقبل 565 طلب مساعدة ومشورة، توزعت بين 321 للعمال الرجال و235 للعاملات النساء.

وصنفت قضايا الفصل البالغ عددها 262 قضية إلى 174 حالة متعلقة بالمادة 110 (إعادة الهيكلة أو الإغلاق)، و73 حالة فصل تعسفي بموجب المادة 111، و6 حالات فصل دون إخطار (المادة 107)، و5 حالات فصل لعدم الكفاءة (المادة 109).

قطاع التجارة تصدر الشكاوى بـ 193 قضية خلال العام، تلاه قطاع الإنشاءات بـ 43 قضية، ثم الصحة بـ 21 قضية. جاءت بقية القطاعات بأعداد أقل، أبرزها الصناعة بـ 15 قضية، والاتصالات والنقل بـ 10 قضايا، بينما سجل قطاع الأمن أدنى معدل بثلاث قضايا فقط.

«الوطن» – 18 يناير 2025

كتلة «تقدم» تطالب الحكومة بحلول توافقية تحفظ حقوق منتسبي «خطوة»

أكدت كتلة تقدم البرلمانية استمرارها في متابعة قضية المتضررين من القرارات الأخيرة الصادرة عن هيئة التأمينات الاجتماعية بشأن «برنامج خطوة». وشددت الكتلة على التزامها بالعمل الدؤوب لإيجاد حلول توافقية تحفظ حقوق كافة الأطراف. وذكرت أنها قامت، على مدار أكثر من أربعة أسابيع، باتصالات مكثفة مع الجهات الحكومية المعنية، بما في ذلك لقاءات مع رئيس مجلس إدارة هيئة التأمينات الاجتماعية، وتواصل مباشر مع الحكومة خلال الاجتماعات الأخيرة. كما أشارت إلى مبادرة وزير شؤون مجلس الوزراء، حمد المالكي، الذي تواصل مع النائب عبدالنبي سلمان، النائب الأول لرئيس مجلس النواب وعضو الكتلة، لاستعراض الإجراءات الحكومية المرتقبة لمعالجة أوضاع المتضررين.

قدّمت الكتلة خطابات رسمية إلى الجهات المختصة تضمنت مطالب المتضررين وحلولًا مقترحة للتعامل مع تداعيات القرارات الأخيرة. وركزت على ضرورة الإسراع بمراجعة هذه القرارات من منظور إنساني، مؤكدة أن غالبية المتضررين يواجهون التزامات مالية كبيرة تجاه هيئة التأمينات الاجتماعية والبنوك، مما يضعهم تحت ضغوط اقتصادية تؤثر على حياتهم اليومية.

شددت الكتلة على أهمية إيجاد حلول عادلة وسريعة تراعي مصالح جميع الأطراف، مع التأكيد على عدم تحميل المتضررين الأبرياء مسؤولية تجاوزات بعض المنتسبين الذين قدموا وثائق مزورة أو غير قانونية. وأكدت الكتلة أن معالجة الأزمة يجب أن تعكس الرؤية الحكيمة لقيادتنا الرشيدة التي تحرص على توفير الحماية الاجتماعية والاقتصادية للمواطنين.

اختتمت كتلة تقدم البرلمانية بيانها بالتأكيد على أهمية تطبيق مبدأ العدالة، وضمان حقوق المستحقين للمعاشات التقاعدية وبدل التعطل، مع تعزيز الشفافية والمساءلة بما يحفظ أموال الصناديق التقاعدية ويحقق المصلحة العامة.

في سياق متصل، أصدرت وزارة العمل والهيئة العامة للتأمين الاجتماعي بيانًا مشتركًا بشأن آخر مستجدات برنامج "خطوة"، أكدت فيه استمرار صرف المعاشات التقاعدية للمستحقين الذين استوفوا شروط ممارسة النشاط وفق القوانين والأنظمة. وبلغ عددهم 114 شخصًا.

أوضحت الهيئة أن 501 حالة من المخالفين قاموا بتصحيح أوضاعهم القانونية، واستمر صرف معاشاتهم التقاعدية دون انقطاع. أما المخالفون الذين تم وقف صرف معاشاتهم التقاعدية، فقد تم تسجيلهم ضمن قوائم برنامج بدل التعطل للباحثين عن عمل تنفيذًا لتوجيهات مجلس الوزراء.

أكد البيان أن وزارة العمل ستقوم بدراسة الحالات المؤهلة لاستلام بدل التعطل، والتي يبلغ عددها 683 حالة، للتأكد من استيفائها للشروط القانونية. كما ستُمنح هذه الحالات المزايا المالية للنظام وتُقدم لهم فرص وظيفية مناسبة.

عبدالنبي سلمان: نطالب بتحديث الحد الأدنى للمعيشة وزيادة ميزانية الدعم لمواجهة تحديات ارتفاع الأسعار

أكد عضو كتلة تقدّم البرلمانية، النائب الأول لرئيس مجلس النواب، عبدالنبي سلمان، خلال مداخلته في الحلقة الحوارية التي نظمّها المنبر التقدمي حول تقرير ديوان الرقابة لعامي 2023-2024، أن الحد الأدنى للمعيشة في البحرين، الذي حُدد منذ عام 2003 عند 336 دينارًا بحرينيًا، لم يعد يتناسب مع الأوضاع الاقتصادية الحالية، بعد مرور أكثر من عشرين عامًا على تحديده.

وأوضح سلمان أن لجنة الدعم المشتركة الممثلة لمجلسي النواب والشورى قامت بدراسات معمقة ومقارنات خلصت إلى اقتراح سيناريوهين جديدين للحد الأدنى للمعيشة، الأول بقيمة 725 دينارًا والثاني بقيمة 580 دينارًا، مع الأخذ في الاعتبار التضخم وارتفاع الأسعار.

وأشار إلى أن اللجنة قدمت تصوراتها حول برامج الدعم التي تشمل ست علاوات رئيسية، منها علاوة تحسين المعيشة، علاوة الغلاء، دعم المتقاعدين، علاوة ذوي الإعاقة، والإسكان. وبالنسبة لميزانية الدعم الحالية، التي تبلغ نحو 500 مليون دينار، اقترحت اللجنة رفعها بمقدار 239 مليون دينار في السيناريو الأول أو 188 مليون دينار في السيناريو الثاني، مع التركيز على دعم الشرائح ذات الدخل المحدود لتحسين مستوى معيشتها.

وأضاف أن اللجنة ناقشت هذه المقترحات بشكل مفصل مع الوزراء المعنيين وممثلي الحكومة، وتم رفع التصورات إلى القيادة السياسية العليا بهدف الحصول على دعم لتحقيق هذه المقترحات التي من شأنها تحسين الظروف المعيشية للمواطنين.

وأعرب عن أمله في التوصل إلى توافق مع الحكومة بشأن هذه السيناريوهات في إطار مناقشة مشروع الميزانية العامة، مشيرًا إلى أن نجاح مجلسي النواب والشورى يعتمد على مدى التزامهما بتحقيق مصالح المواطنين في ظل التحديات المعيشية الصعبة الناتجة عن ارتفاع الأسعار، تجميد الأجور، وشح الوظائف، إلى جانب توقف الساعات الإضافية لموظفي القطاع العام.

واختتم سلمان مداخلته بالتأكيد على أهمية دعم الشرائح البحرينية التي باتت في أمس الحاجة إلى مساندة حكومية، مشددًا على ضرورة اتخاذ خطوات ملموسة لتحسين مستوى معيشة المواطنين وتعزيز العدالة الاجتماعية في ظل الأوضاع الاقتصادية الراهنة.

على وقع بيان ١٦ جمعية ومؤسسة أهلية

لنــردّ لمجتمعنـــا المـــدنـــي دوره

لا يمكن لأحد أن ينكر أهمية ودور مؤسسات المجتمع المدني فى أي دولة، هذه المؤسسات التى تشمل هيئات ونقابات واتحادات وجمعيات سياسية وحقوقية وتنموية وشبابية وفنية ونسائية وخدمية وخيرية وتعاونية ورعائية وغيرها، نحن هنا لا نرى حاجة لإثبات ذلك والاستفاضة فى الحديثين واقع مؤسسات المجتمع البحرينى، ذلك معروف والمعروف ليس بحاجة إلى تعريف، يكفى القول إنه واقع لا نستطيع أن نخفى شعورنا بالأسى حياله، والحقيقة أنه أسى مركب: مرةً لأن كثيراً، إن لم يكن معظم هذه المؤسسات حالها لا يسرّ، حيّة رسمياً وميتة سريرياً، ومرةً ثانية لأن الكلام الرسمى حول وضع هذه المؤسسات كأنه يبشرنا بأنها تعيش أزهى عصورها، ومرة ثالثة ان هناك عزم لا ينطفئ لمجموعات من أعضاء هذه المؤسسات يحاولون تجاوز ما هو محبط للهمم ودرأه بما فى مقدورهم القيام به من وسائل.

خليل يوسف

لعلّ البيان الصادر عن 16 جمعية أهلية فى البحرين هو إحدى الوسائل المشروعة، لا يسع احد أن يلوم مت أصدروه، فهو صادر بدراية فائقة بما آل اليه وضع معظم مؤسسات مجتمعنا المدنى، وصادر بمنطق الضرورة الذى يستوجب النظر فى التراكمات فى المعرقلات التى باتت تواجه هذه المؤسسات، وضرورة سرعة الانتباه والمراجعة والتصويب، والبيان المشترك عبّر بشكل أو بآخر عمّا نال هذه المؤسسات وما قد ينالها ويعرقل أعمالها، ويثير لديها الهواجس التى يغلب عليها طابع الخوف من إضعافها وعرقلتها عن تحقيق أهدافها كما يجب، ولا يجعل الحيوية تدبّ فى صفوف أعضائها، والأسوأ حين تجد بعض هذه المؤسسات منكسرة، فى حال بائس بكل معنى الكلمة تبتلع المرّ وتختزن الإحباط وترضى بالمقسوم، وجمعيات كما لو أنها فى "غرفة العناية الفائقة"، أو حيّة رسمياً وميتة سريرياً، قدم فى الدنيا وأخرى فى القبر، والمؤسف أولاً أن هذا أمر من شدة وضوحه لم يعد بحاجة إلى شرح أو اثبات، والمؤسف ثانياً أن هذا الوضع لم يخضع من الجهات الرسمية للتشخيص وجدية التناول.

أبدت الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني، في بيانها المشار إليه، امتعاضها ومعارضتها لتعديلات على قانون يخصّها، وتحديداً على القانون رقم 21 لسنة 1989 بشأن الجمعيات والأندية الاجتماعية والثقافية والهيئات الخاضعة الخاصة العاملة فى ميدان الشباب والرياضة والمؤسسات الخاصة، وأكدّت فى هذا البيان على أن التعديلات المعنية جاءت مخالفة لتوقعات المجتمع المدنى ومؤسساته، إذ منحت الوزارة المزيد من صلاحيات التدخل والتحكم فى عمل الجمعيات والمؤسسات الأهلية، والى جانب ذلك أعطت الوزارة الحق فى إقالة رؤساء وأعضاء مجالس ادارات الجمعيات الأهلية بقرارات مباشرة من الوزير المختص وبدون تبيان نوع المخالفات!

وفى الوقت الذى أكدت فيه تلك الجمعيات والمؤسسات على أهمية تعديل القانون المذكور الذى مضى على تطبيقه اكثر من 34 عاماً، أبدت معارضتها للتعديلات الجديدة المقترحة من وزارة التنمية الاجتماعية دون أخذ رأي المجتمع المدني والنظر فى مرئياته، ورأت أن التعديلات المطروحة ستقود إلى المزيد من المصادرة والتضييق على الجمعيات الأهلية، وفى الوقت الذى أشار فيه البيان إلى اجتماع وفد من الجمعيات المعنية فى 31 ديسمبر الماضي مع وزير التنمية لتبيان أوجه الاعتراض على تلك التعديلات، حيث قدّم الوزير، وفق البيان، تطمينات تحت زعم بأن هناك تدرج فى تطبيق التعديات المقترحة، فيما اكدت الجمعيات بأن التشدد وممارسة الضغوط على العمل الأهلي أمر يفرغ العمل التطوعي من كوادره ومحتواه المجتمعي، ويبقى تلك القرارات المنفرة والمدمرة سيفاً مسلطاً على الجمعيات والمؤسسات الأهلية والعاملين فيها .

لا نعلم ما إذا كان بمقدور اللجنة الأهلية التى تشكلت من تلك الجمعيات، وأعدّت مسودة بشأن تعديل قانون الجمعيات، ودعوتها إلى تفاهمات وحوارات مستمرة وبناءة بين الطرفين الرسمى والأهلي ومطالبتها بالاجتماع مع ممثلي مجلسي النواب والشورى، بهدف فتح حوار هادئ وهادف معهم من أجل التوصل إلى « قانون عصرى للجمعيات الأهلية يشجع ويدعم العمل الأهلى بكافة مستوياته ويساهم فى استقطاب المزيد من المتطوعين والمبدعين لصفوف وميادين العمل الأهلي المختلفة ويعزز مبدأ الشراكة المجتمعية بين القطاعات الثلاثة الحكومى والخاص والأهلي، ويعزز أهداف التنمية المستدامة التى أقرتها الأمم المتحدة". لا نعلم ما إذا كان ذلك سيوقف تلك التعديلات المخالفة فعلاً لتوقعات المجتمع المدنى ومؤسساته والمثيرة لهواجس ومخاوف واعتراضات وخضات وتقلبات وتراجعات تجعل الجمعيات والمؤسسات الأهلية أكثر عرضة للهشاشة والمراوحة والجمود، ولعل تلك الندوة التى عقدت مؤخراً فى جمعية نهضة فتاة البحرين حول التعديلات والتى تحدث فيها المحامى وعضو المنبر التقدمي محمود ربيع بداية لحراك أهلى يصب فى سياق اعتراض المجتمع الأهلى على التعديلات السلبية وعلى كل ما يضيّق الخناق عليها ويحد من العضوية فيها.

إن ملف واقع جمعياتنا ومؤسسات مجتمعنا المدنى يفرض التوقف عنده ملياً فهو يعنى ضمن ما يعنيه أن هناك خللاً فى مسيرة هذه الجمعيات والمؤسسات يتطلب مراجعة وتصويب بهدف النهوض بواقع هذه المؤسسات، فذلك سيكون انجازاً نتباهى به، نحن الذين اعتدنا التباهي بالإنجازات على كل صعيد، انجازاً يرتكز على قناعة بأنه من الخطأ الفادح التقليل من شأن المجتمع المدني ومؤسساته ودوره فى صناعة التغيير الإيجابي والمستقبل الواعد لا أن نقيّده ونضع قيوداً ومعرقلات تشين واقعنا حالياً ومستقبلاً .

ملفـــاتنـــا الـــوطنيـــة والحـاجـــة إلـــى الشـــراكـــة والإنجـــاز

خلال ورشة العمل التي اقامها المنبر التقدمي في الثامن عشر من شهر يناير المنصرم، والتي خصصت للحديث عن تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية لعامي 2023-2024، وقدمت فيها أوراق من قبل جمعيات سياسية ومؤسسات مجتمع مدني، وشاركت فيها شخصيات من المهتمين بالملف الاقتصادي على وجه التحديد، تميزت في بعض اوراقها المقدمة وكذلك النقاشات التي تلتها، حيث تجاوزت ما جاء في التقرير بالحديث عن مجمل الملف الاقتصادي في البحرين وما يعتريه من اختلالات وتحديات، وتشوهات في سوق العمل البحريني، وما يمثله ملف البطالة من ثقل وهموم لعموم الشارع البحريني. كذلك تم التطرق بشيء من التفاصيل لملف الفساد وملفات مثل برامج الدعم والبحرنة والدين العام والتأمينات الاجتماعية وعقم النهج الاقتصادي المتبع وما أحدثه من إخفاقات منذ سنوات في البحرين، وما افرزه من تشوهات أضحت جلية للعيان في جوانب اقتصادية ومعيشية وهيكلية عديدة، ليس اقلها ما أحدثه من تشوهات مستعصية في سوق العمل البحرين، حيث الهيمنة الواضحة للعمالة المهاجرة وضياع فرص العمل وتراجع اجور وتنافسية العامل البحريني ،رغم ما تخرجه الجامعات والمعاهد المتخصصة سنويا من أعداد كبيرة من الخريجين والخريجات، الذين حتمت عليهم ظروف المنافسة ان يبقون خارج إطار المنافسة، لا لشيء وإنما فقط بسبب غياب الرؤية وبرامج الإحلال والإيمان الحقيقي بوضع برامج توظيف وتدريب فاعلة للكوادر الوطنية ووضع معايير ضابطة لهيكلية مدروسة للسوق، حيث تساءل الحضور بمرارة عن ما دأبت الحكومة على ترديده حول افضلية العامل البحريني وتنافسية الاقتصاد الوطني واستدامته، وهي مؤشرات قياس سبق ان طرحتها رؤية البحرين 2030 منذ اكتوبر2008 ولا زال يجري ترديدها بشعارات لا يمكن ان تصمد في ظل ما هو قائم من تشوهات، وباتت تتطلب معالجات سريعة بدلا من الكلام المسهب الذي لا يقدم جديدا، كما تم التطرق أثناء المناقشات حول جدية ما تطرحه الحكومة حول تنويع مصادر الدخل وتقليص الاعتماد على سلعة النفط كمقوم أساسي للاقتصاد الوطني بصورة أساسية، في ظل ما قدمه المتحاورين من رؤى وتصورات حول غياب الجدية والرؤية الواضحة والطرح الاستراتيجي للتعاطي مع تلك الملفات الهامة.

من المهم القول وبتجرد ان تلك الملفات جميعها طرحت بكثير من التفصيل والنقاش الجاد ضمن مناقشات مجلس النواب في اكثر من فصل تشريعي، وربما بتركيز اكبر في الفصلين الأخيرين، حيث تعددت جلسات المناقشات العامة ولجان التحقيق والاسئلة النوعية التي طرحت على الحكومة بغية فهم توجهاتها حيال ما يقلق الشارع البحريني بأسره، وقبل ذلك طرحت بصورة مكثفة بداية الفصل التشريعي الحالي تحديدا عند مناقشة برنامج عمل الحكومة، وكذلك خلال اللقاءات والاجتماعات الرسمية التي تجمع ممثلي السلطتين التشريعية والتنفيذية، حيث عبرت السلطة التشريعية بمجلسيها مرارا وتكرارا عن الكثير من الهواجس المقلقة إذا ما استمر التعاطي الرسمي مع تلك الملفات بهذه الصورة التي لا تحمل اي بوادر للجدية والرغبة الصادقة لوضع المعالجات المطلوبة.

عبد النبي سلمان

غير مفهوم أن تمتنع الجهات الرسمية عن وضع استراتيجيات واضحة لمعالجة الملفات الشائكة، وأن تتجاهل الشراكة الحقيقية مع المجتمع

لقد بدا واضحا خلال مناقشات الحلقة الحوارية هذه ما تمثله تلك الملفات من أهمية وهموم وهواجس مقلقة ومخاوف تتحسب للمستقبل بشيء من الحيرة والتوجس، خاصة في ظل ما يجري من تحولات إقليمية ودولية ومنافسة محتدمة على مستوى الإقليم، وانصراف الجميع دون استثناء للتركيز على ملفاتهم الوطنية، ورسم علاقاتهم وتحالفاتهم الخارجية بصورة تحاول ان تستوعب كل تلك المتغيرات، في وقت تبقى مثل تلك الحوارات الجادة والمسؤلة من قبل جمعياتنا السياسية ومؤسسات مجتمعنا المدني والنخب بعيدة كل البعد عن ان يتم تناولها من قبل الإعلام المقروء والمسموع ومتابعاته، لتبقى تلك الحوارات في داخل اروقة الجمعيات ومنتدياتها، ونادرا ما يتناولها الإعلام بالبحث والتقصي وكأن ملامستها أصبحت من الممنوعات، على الرغم من ان ملفات البطالة والوضع المعيشي وتراجع الوضعين الاقتصادي والمعيشي، ومخاوف الناس من المستقبل تحفل بها كل الأحياء في مدننا وقرانا وحتى لقاءاتنا الاجتماعية ومنتدياتنا الوطنية، إلا ان صمت الجهات الرسمية ممثلة بالحكومة يبقى سيد الموقف.

غير مفهوم تماما ان تمتنع الجهات الرسمية ممثلة في الحكومة الموقرة عن وضع استراتيجيات واضحة لمعالجة كل تلك الملفات الشائكة والملحة، ولابد من القول إننا بتنا اكثر احتياجا لأن نتعلم حاجتنا لفن الاصغاء والتعاطي بمسؤلية تقوم على رسم شراكات حقيقية، تتوسم وضع الحلول لكل قضايانا التي اعتقد جازما أنها ليست عصية على الحل أبدا، لكنها فقط تحتاج لمزيد من الفهم المتبادل بين الحكومة والمجتمع بكل مؤسساته ونخبه، وذلك هو السبيل الوحيد والمجرب الذي بامكاننا ان نهتدي به لوضع ما نطمح اليه من معالجات طال انتظارها، ومن اجل الارتقاء بالوطن وبوعي مجتمعنا وتوظيف إمكانياتنا الكامنة من اجل وطن اكثر رفاها ونموا وسعادة.

نستذكر في هذا الإطار الخطوات الإيجابية التي بادر لطرحها سمو ولي العهد في العام 2004 بشأن حوارات إصلاحات سوق العمل والملف الاقتصادي، وسط حضور نوعي ونخبوي كثيف شارك فيه الجميع بمسؤلية ووطنية من اجل الارتقاء والتطوير الشامل، ولا زال يستذكرها الجميع لأنها ببساطة أفصحت عن نهج علمي مختلف قائم على الشراكة والتشاور في صياغة قرارنا الوطني، وباعتقادي ان عودتنا مجددا لمثل تلك الحوارات والممارسات ستضيف الكثير لنا كبلد وشعب يطمح نحو المزيد من التنمية وتحقيق النجاحات.. لذلك نقول كم نحن في حاجة لمثل تلك المبادرات التي ابتدعها سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء منذ اكثر من عقدين من الزمن، لوضع المعالجات والبرامج والرؤى والاستراتيجيات لمواجهة ما يعترضنا من تحديات، حتما لن تستطيع ان تنجزها الحكومة منفردة على اية حال، وعلينا الكف عن القول ان اوضاعنا الاقتصادية والمعيشية جيدة وان ما يقدمه الجانب الرسمي من ارقام تتعلق بالبحرنة هي غاية ما نريد ونعتقد، فالمساءلة لا تؤخذ بشعارات وأرقام لا تستطيع ان تصمد في مواجهة الحقائق المعاشة على الأرض..ببساطة نحن في حاجة إلى تفكير جريء ومختلف لكنه وطني ومسؤول، كي نبدأ مشوارنا المأمول لتحقيق الإنجازات والنجاحات المنتظرة اقتصاديا ومعيشيا وتنمويا.

بصراحة

سبعون عاماً لجتوب.. تاريخ نضالي مشرف

كبرت وكبرنا معها، هي مثل نخيل بلادي ضاربة جذورها في تراب أوال، لم يستطيعوا اقتلاعها من الأرض بالرغم من كل الضربات الموجعة. بقيت على الثبات والصمود شامخة وعصية لمن أراد لها الفناء والتلاشي عنواناً للتحدي والبقاء فمضت بأشرعتها الحمراء في عباب بحر البحرين تغني أغاني الفرح والأمل من أجل إشراقة الحرية والاستقلال الوطني والديمقراطية والتقدم الاجتماعي والسلم فعندما كنَّا أطفالاً قرأنا تلك الشعارات على الجدران (يسقط الاستعمار)، (إخرجوا من بلادنا إيها المستعمرون)، (إطلقوا سراح المعتقلين والسجناء السياسيين) في حيّنا في المنامة (فريق الحمام)، وتُكتبُ أيضاً مثل هذه الشعارات في العديد من مناطق البحرين، كذلك تُكتبُ في نشرة (الجماهير)، النشرة المركزية لجبهة التحرير الوطني البحرانية التي كانت تصدر بشكل سري في داخل البحرين.

فاضل الحليبي

طالما ذكرنا اسم الحزب الذي نحن بصدد الاحتفال بذكراه السبعين، فهو من أقدم الأحزاب السياسية الماركسية في البحرين والخليج العربي، منذ تأسيسه في الخامس عشر من فبراير عام 1955، خاض معاركَ نضاليةً وثوريةً عديدةً، وقدَّم مناضلوه تضحياتٍ كبيرةً من استشهاد واعتقال ونفي ومطاردة وفصل من العمل والحرمان من العديد من الحقوق الدستورية. نشط هؤلاء المناضلون مناضلوه في صفوف الجماهير، ونظموا العمال في الشركات ومواقع العمل المختلفة وقادوا الاحتجاجات والمسيرات والإضرابات العمالية منذ تأسيس حزبهم، حزب العمال والكادحين والمثقفين الثوريين، وجاء تفجير سيارتَي بوب وأحمد محسن مسؤولَي جهاز المخابرات آنذاك، في مارس من عام 1966 من قبل مناضلِي الحزب وفي مقدمتهم المناضل الراحل الفنان مجيد مرهون، بمناسبة مرور عام على انتفاضة مارس المجيدة عام 1965، رداً على التعذيب الوحشيً لمناضلي الجبهة والحركة الوطنية في السجون والمعتقلات في تلك الفترة، بعد قمع انتفاضة مارس المجيدة عام 1965.

وأنا أذكر هذا الحدث، دار حديثٌ مع الرفيق الراحل عبدعلي الخباز أحد قادة «جتوب»، قال فيه بأن العديد من المواطنين تقدموا إلينا بطلب الانضمام إلى الجبهة، فاسم الجبهة انتشر بشكل واسع في صفوف الجماهير واعتقد البعض بأنها تؤمن بالعنف والكفاح المسلح، وواصل رفيقنا الراحل عبدعلي حديثه: كان علينا توضيح الأمر لهم بأننا حزبٌ سياسيٌّ وطنيٌّ من حقه أن يمارس كل أشكال النضال الوطني في ظل وجود الاستعمار البريطاني وهذا يقرُّه ميثاق هيئة الأمم المتحدة، ولكننا حزبٌ سياسيٌّ نؤمن بالنضال السلمي الذي يقود نحو تحولات ديمقراطية، من أجل قيام مجتمع ديمقراطي توجد فيه سلطة تشريعية منتخبة .

يتذكر أحد المشاركين في انتفاضة مارس 1965 المجيدة المناضل الرفيق موسى جعفر خميس (أبو فلاح)، حادثة افتعال "هوشة" في سوق المنامة بين عناصر من مناضلي جبهة التحرير الوطني البحرانية في 12 مارس 1965، انتهت بترديد هذه الشعارات (يسقط يسقط الاستعمار، عاشت ذكرى البلدية، عاشت ثورة الأحرار) عندما تجمع الناس وبدأت المسيرة في شوارع وأزقة المنامة. وما هذه إلا صفحات من تاريخ جبهة التحرير الوطني التي كانت الجبهة تنشط في وسط الجماهير، ففي ذكرى عاشوراء (ذكرى استشهاد الحسين وأصحابه في كربلاء) تصدر البيانات ونشرة «الجماهير» لتشعل الحماس والنضال ضد الاستعمار البريطاني والرجعية، في نشرة «الجماهير «الصادرة في مايو 1965 كُتِبَ هذا الشعار (اللي يريد حقوق لازم تضحية ....باسمك يا شهيد انصر الأحرار ...والقوم ظلام مافيهم رحم ....ثورة الأحرار لازم تنتصر). كان هذا الشعار أيضاً يتردد في موكب العزاء (يا داحي الباب عجل بالنصر ... جبهة التحرير لازم تنتصر) .

كانت الجبهة تناضل في صفوف الجماهير وتتشارك معهم في المناسبات التي تخصهم، فهي من هذه الجماهير الفقيرة والكادحة، لهذا كان صوت الجبهة مسموعاً، تتلهف الجماهير وبشوق كبير لصدور نشرة "الجماهير" وبيانات الجبهة ، ففي برنامج الجبهة السياسي (برنامج الحرية والاستقلال الوطني والديمقراطية والسلم) الصادر في عام 1962، حددت الأهداف، ومن ضمن البنود الخمسة عشر التي تضمنها هذا البرنامج السياسي، يقول البند الثالث: «تناضل الجبهة لأجل إيجاد حكومة وطنية ديمقراطية تعمل لمصلحة الشعب البحريني وتطهر جهاز الإدارة الاستعمارية من الإداريين الإنجليز وأعوانهم وتقيم نظام إدارة وطني ديمقراطي وبإقامة مؤسسات ديمقراطية تكفل الحريات الديمقراطية لمجموع الشعب البحريني، برلمان ومجالس إدارة وبلدية ينتخبها الشعب وتمثله حقاً وتضع دستوراً يقوم على أساس ديمقراطي يأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية لوطننا».

شاركت الجبهة منذ تأسيسها في الانتفاضات والاحتجاجات والتظاهرات الجماهيرية ونظمت وقادت العديد من الإضرابات العمالية، نذكر هنا إضراب عمال وموظفي الكهرباء الذي بدأ من 9 أبريل 1968 إلى 15 أبريل 1968 وبالأخص في محطة التوليد، وننشر هنا مطالب الإضراب كما أوردتها افتتاحية عدد «الجماهير» الصادرفي شهر أبريل عام 1968: «تركزت مطالب العمال، زيادة الأجور، تشكيل نقابة، وتثبيت العمال اليوميين إلى عمال شهرين، وإقالة رؤساء الأقسام ووضع حد للتعسف وإيقاف الفصل الكيفي، واستمرار دفع الزيادة السنوية للعمال»، ويومهان وتعليقاً على الإضراب قال المرحوم السيد شرف العلوي رئيس دائرة الكهرباء: (ويش عاطيني دائرة فيها كل شيوعيين).

من المحطات الهامة في تاريخ جبهة التحرير الوطني البحرانية قرارها السياسي بالمشاركة في انتخابات المجلس الوطني في السابع من ديسمبر 1973 حيث شكَّل « كتلة الشعب" اليسارية التي حققت انتصاراً كبيراً بإيصال ثمانية مرشحين من أصل اثني عشر مرشحاً للكتلة إلى قبة المجلس الوطني، شاركوا وفق برنامج انتخابي واضح المعالم كان للقائد المناضل الراحل الرفيق علي دويغر أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني، دورٌ بارزٌ في كتابته مع بعض الرفاق في الكتلة.

محطة هامة في تاريخ الجبهة والحركة الوطنية البحرينية كانت تأسيس لجنة التنسيق خارج البحرين مع الرفاق في الجبهة الشعبية في البحرين في بداية تسعينيات القرن الماضي، وأصدرتا نشرة مشتركة باسم (الأمل) كان لرفيقنا القائد الكبير الراحل أحمد الذوادي، أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني البحرانية والأمين العام لها ، بالتعاون مع الرفيق القائد الكبير الراحل عبدالرحمن النعيمي الأمين العام للجبهة الشعبية في البحرين، دور في تأسيسها واستمرارها لسنوات قبل أن تتوقف.

هذا جزء بسيط من التاريخ النضالي لجبهة التحرير الوطني البحرانية، مطلوب من الرفاق الأحياء وبالأخص الذين تحملوا مسؤوليات حزبية في الأطر التنظيمية للجبهة تدوين المعلومات التي لديهم على شكل مذكرات أو ذكريات، لتتعرف الأجيال الحالية والقادمة على التاريخ السياسي والتضحيات الكبيرة التي قدمها مناضلو الجبهة في الظروف الصعبة، هناك من واصل المضي في الطريق الصعب ولم يتزحزح قيد أنملة عن مبادئ وأفكار الجبهة .

في الذكرى السبعين لتأسيس جتوب نتوجه بالتحية والتقدير إلى الرواد الأوائل الرفاق وإلى سائر مناضليها، والمجد والخلود لشهدائها الأبرار.

نحو تجمع وطني ديمقراطي عريض

من المعروف أن للقوى الوطنية بكل أطيافها أفكاراً ومفاهيم متباينة، فمجتمعنا يسوده كمّ من التناقضات والتخبط حتى في أوساط بعض النخب، حيث خلط الأوراق والضبابية والسطحية في وضع يتعثر فيه اتخاذ القرارات الصائبة لوضع حدٍّ لعدم اكتراث البعض لضرورة تمكين تجمع وطني ديمقراطي عريض يلمّ كل القوى الداعية لوضع لبناء مجتمع يتوق لقوى تولي اهتماماتها النضالية بصدقية فاعلة في اتخاذ قرارات مؤثرة.

قاسم الحلال

لذا فإننا كقوى وطنية معنيون بهذه المهمة، حيث ضرورة الالتفات لمتطلبات ما يصبو إليه شعبنا كونه يمر بوضع معيشي مزرٍ يتفاقم باستمرار، مع انعدام الحماية التي يمارسها بعض من ينسبون أنفسهم إلى توجه (وطني) وهم بعيدون عن هذا التوجه، فلا يناصرون الديمقراطية كونها أساساً لوحدة القوى الوطنية وبناء تجمع وطني لخدمة ونصرة شعبنا.

ومن هنا نحن كحراك وطني ديمقراطي نسعى لدفع عجلة نمو هذا الحراك نحو التقدم، وهذه الدعوة لم تلاق اجماعاً واسعاً من كل الأطياف، رغم أن الكل مدرك لأهمية هذا التكتل ولن نستطيع العمل بدونه، حيث يجد البعض صعوبة في تذليل الصعوبات التي هي إحدى العوائق التي تواجه مساعينا التي نعتبرها مهمة وراهنة، وكلنا أمل في تجاوز هذه الصعوبات لأجل وحدة شعبنا وبناء لحمته حفاظاً على نسيجنا ونحن في بداية عام جديد، فالشعب إذا لم تتحقق أمانيه ويرى بارقة أمل يعتبر كل ما يقال مجرد (بندول)، إن مخاطبة المسؤولين عن مدى وجعنا كشعب يعاني الكثير من التأزم المعيشي بدون وضع آلية مشتركة لحوار يخدم صراحة جديتنا وغاياتنا ونحن نرى مصدر الخلل والتشرذم، فإننا مسؤولون وستحاسبنا أجيال المستقبل وتحملنا كل تبعات هذه السلبية والتنافر الوطني. حان الوقت لأن نفكر ملياً وأن نقيس الوضع من كل الزوايا واضعين تاريخنا نصب أعيننا وأن نحترم من أسسوا ووضعوا اللبنات الأولى دون القفز على هذا المجد والتضحيات.

إن التعقل والشفافية سمة يتصف بها أصحاب رحابة الصدر في احترام وجهة نظر الطرف الآخر والترفع عن اتخاذ قرارات منفردة تسيء إلى سمعة نسيجنا الوطني، لذلك هناك طرق سالكة تبني أجيالاً يجب الاسترشاد بمفاهيم فكرية من بواطن الكتب لمعرفة السياسة، وذلك لكي لا نبني معارفنا على مفاهيم سطحية هشة تجرنا نحو التخبط ورؤى مقلوبة تزيدنا نفوراً وتباعداً.

من هنا نحن مسؤولون عن توعية هذا الجيل لكي لا يصبح في مهب الريح بأيدي المتربصين لأن الكثير منهم عفويون على سجيتهم فهناك من يتحين التغرير بهم ويسوقهم نحو الضياع، وثمة طرق كثيرة لأجل منحهم ثقتنا وبها يجب أن يكونوا نصب أعيننا، فلسنا بعيدين عن ساحات الأمم التي خاضت وتخوض النضال، فهي عانت وتعاني من نفس الظروف ونفس القسوة والاضطهاد وضنك العيش، ولم يكن أمامها من بديل ولا سبيل لها إلا التكاتف لتهيئ أرضية تبشر بمسار جديد ووضع حجر الأساس قبل فوات الأوان.

ما أخرنا طيلة هذه الأعوام هو النفور والتباعد وعدم الثقة، وها نحن ندفع الثمن، إننا ندخل في عام جديد 2025 ولم نضع برنامجاً واضحاً جامعاً يكون ركيزة تعمل بطريقة مدروسة ضمن متطلبات ومعطيات راهنة، بعيدة كل البعد عن التطرف والانفعالات والتشنجات، والسير بثبات دون التعجل في الخطى، ونحتكم للحكمة القائلة (إن المرء إذا كان عطشاً في يوم قائظ في صحراء جرداء عليه أن يبحث عن ماء وليس عن ماء مثلج يروي ظمأه)، أي علينا التكيف واستيعاب مختلف الظروف في الأوقات والأزمنة مهما بلغت قسوة الظروف عملاً بالظروف الموضوعية والذاتية، صحيح إننا اليوم نمر بديمقراطية شكلية وهذا ناتج عن فهم الديمقراطية عند غالبية البرلمانيين كونها لا تمثل السواد الأكبر من الشعب الفقير الكادح، فيما غايتنا أن نسعى لنواب ملمين بالمفاهيم الديمقراطية لكي يمثلوا شعبنا على أحسن وجه وبصدقية وإخلاص.

الهوية ودورها في حياة التنظيم

الهوية تجيب على سؤال: من نحن كتنظيم سياسي؟، أي السمات الرئيسية للتنظيم وما يميزه عن غيره من التنظيمات المماثلة. والهوية تتكون من ثلاثة عناصر أو أبعاد مهمة وهي الايديولوجية، أي السمات والمعتقدات الفكرية والثقافية الجوهرية للتنظيم، وثانياً التميّز، أي السمات التي يميز بها التنظيم نفسه عن غيره من التنظيمات، وثالثاً الاستمرارية وتعني تاريخ التنظيم الذي يشكل جزء جوهرياً من هويته علاوة على قدرته على الثبات والاستمرار في الحاضر والمستقبل.

فيصل خليفة

إن ميزة الأيديولوجية التي يتمسك بها التنظيم هي في كونها تسهم في فهم التنظيم لنفسه ولمهمته الاساسية وأولوياته وفي توجيه ممارساته وأنشطته وانشطة أعضائه. فنحن كمنبر تقدمي مثلاً، تميزنا عن غيرنا من التنظيمات، الإيديولوجية التي نتبناها كوننا تنظيماً سياسياً يتبنى المنهج العلمي المادي الجدلي والتاريخي في تحليل الواقع وفهمه، ويستلهم كل منجزات العلوم والتراث العربي الإسلامي والإنساني التقدمي وأفكار التنوير والحداثة والتقدم.

أما فيما يخص صفة التمييز فهو ما يميز بها التنظيم نفسه عن غيره من التنظيمات المماثلة من سمات والتي تساعد أعضائه على إدراك لشخصيته وتسهم في أن تكون جاذبة ومؤثرة، مقارنة بالتنظيمات الأخرى، فما يميز شخصيتنا كمنبر تقدمي عن غيرنا من التنظيمات التي تعمل على الساحة يكمن في كوننا تنظيماً يتسع لجميع المواطنين من النساء والرجال دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو المعتقد الديني الساعين لبناء المجتمع الديمقراطي والمساواة والعدالة الاجتماعية، والنهوض بالأوضاع المعيشية لجماهير الشعب الكادح وتأمين متطلبات العيش الحر الكريم لها.

أما عنصر الاستمرارية فيعني تاريخ التنظيم الذي يشكل جزءً جوهرياً من هويته وقدرته على البقاء والاستمرار وفي شحذ جهود اعضائه لبدل ما في وسعهم لبقاء التنظيم واستمراره من خلال تحقيق أهدافه تجاه المجتمع وعلى قدرته على التكيف مع التطور ومع المتغيرات، فنحن في المنبر التقدمي كجمعية سياسية تأسست في 14 / 9 / 2001 امتداد تاريخي، سياسي وفكري لجبهة التحرير الوطني البحرانية والتي نحتفي في هذا العام 2025 ، في الخامس عشر من فبراير منه، بالذكرى السبعين لتأسيسها .

وللهوية أربعة عناصر أو محددات، تسهم إذا ما تمّ الالتفات إليها في تفعيل هوية التنظيم، وهي أولاً الدور المنوط بقيادة التنظيم القيام به، وثانياً إيديولوجية التنظيم وثقافته، وثالثاً تمسك أعضاء التنظيم بثقافة التنظيم وتخلقهم بأخلاقه، ورابعاً تواصل التنظيم مع الجماهير وما يرسمه لنفسه لديهم من صورة ذهنية عنه، فقيادة التنظيم تلعب دوراً أساسياً في تقديم هوية التنظيم للجماهير، خاصة إذا كانت هذه القيادة تمتلك قدرات تؤهلها في تحديد معالم هوية التنظيم لدى الجماهير ولدى أعضاء التنظيم مما ينمي ويقوي الانتماء لديهم ليأتي سلوكهم منسجماً مع سلوك وممارسات وتصرفات قيادتهم .

أما ثقافة التنظيم وإيديولوجيته، والقيم والمعتقدات وطرق التفكير المشتركة بين أعضائه فهي تشكل الجانب النفسي والعاطفي من الهوية، فهي تعزز الهوية الفردية واعتزاز العضو بانتمائهإلى تنظيمه وتقوي لديه الالتزام تجاهه.

يرجع توسم اعضاء التنظيم بثقافة التنظيم وتخلقهم بأخلاقه وتعريف أنفسهم بما يعرفه التنظيم عن نفسه، إلى عاملين أساسيين، هما العامل المعرفي والعامل الوجداني، فالأول يعكس كم الاهتمام المشترك بين التنظيم والعضو عندما يرى العضو نفسه عنصراً نموذجياً في التنظيم، ومصيره مرتبطاً بمصيره أما العامل الثاني فهو متعلق بمشاعر الفخر بالانتماء للتنظيم والإحساس بالتقدير من قبل هذا التنظيم، ويرجع ذلك إلى تكوّن صورة إيجابية لديه عنه.

أما بشأن عملية الاتصال بالجماهير والترويج للتنظيم، فتتعلق بالأنشطة والبرامج التي يجب على التنظيم القيام بها لتحقيق أهدافه ولتكوين صورة طيبة لدى الجماهير عنه وعن سياسته ولإزالة اي تشويه لصورته لديها، وذلك لا يتم إلا من خلال التحليل والتخطيط والتنفيذ والرقابة على هذه البرامج والانشطة، ولا يعني الترويج للتنظيم إخفاء التنظيم هويته الحقيقية التي ينظر بها إلى نفسه بل يجب أن تتوافق الصورة الذهنية الداخلية للتنظيم مع الصورة الخارجية له.

وتواجه هوية التنظيم مشاكل تؤدي إلي انخفاض قدرته على العمل وعلى المنافسة ويرجع ذلك إلى عدد من الأسباب قد يواجه التنظيم كلها أو بعضاً منها. ومنها ضعف استيعاب أعضاء التنظيم لبرنامجه الفكري والسياسي، بسبب ضعف الإعداد، ومنها ما يرجع إلى ضعف ونقص الإمكانيات البشرية والمالية، ومنها ما يكون متعلقاً بالثقافة السائدة في التنظيم التي قد تعيق من حرية التفكير والتجديد وبالتالي تؤدي إلى ضعف القدرة على فهم الواقع والتأثير فيه بشكل أكثر فاعلية، ومنها ما يرجع إلى عدم الأخذ بالعلم والتخطيط في تسيير عمل التنظيم مما يجعله عرضة للعمل العشوائي وردة الفعل، وأخيراً قد يكون بسبب ضعف إشراك القيادة للأعضاء في صنع القرار مما يضعف لديهم روح الانتماء والإندماج في التنظيم.

إن أهمية الهوية تكمن في صلتها الوثيقة بعمل التنظيم، فلا يمكن ان تكون هناك قيادة فعاله ولا يمكن أن يكون هناك تطوير من دون الفهم لهذه الهوية، لأنها هي التي تعزز من السمات الجوهرية للتنظيم وقدرته على إدارة الازمات التي تواجهه، وتساعده على أن يكون أكثر جاذبية وتنافسية.

أهمية الهوية تكمن في صلتها العميقة بعمل التنظيم، فبدونها لا يمكن أن تكون القيادة فعالة، ولا أن يتطور العمل التنظيمي

بين يدي المربية أمينة الصالح

أخذتني الأستاذة التربوية أمينة سعيد الصالح في رحلة جميلة وممتدة عبر سيرتها «بين أروقة التعليم هكذا رأيت»، الصادرة عن دار فراديس للنشر والتوزيع عام ٢٠٢٢. وفي السيرة يتبدى بشكل جلي دور المعلم المخلص المتفاني والمدير والطاقم الإداري المدرسي المتمتع بروح الفريق في تنمية وتطوير العملية التعليمية برمتها، وفي إحراز النجاح وتخطي العقبات وتصدر قوائم الشرف، وفي الاستجابة للتغيير والتحولات في عالم التمدرس الخاضع للتجارب واكتساب الخبرات المتجددة.

عصمت الموسوي

رحلة أمينة كما روتها تبدأ منذ اليوم الأول الذي انخرطت فيه التلميذة الصغيرة ذات الستة أعوام للتعلم في بيت صغير مستأجر لإدارة المعارف، قبل أن تنتقل بعد عام إلى مدرسة فاطمة الزهراء ثم المدرسة الشمالية الإبتدائية. تتلمذت أمينة في ذلك الوقت على يد عدد من معلمات لبنان وسوريا وفلسطين ومصر وبعض المعلمات البحرينيات، نالت أمينة قسطاً كبيراً من الاهتمام والرعاية الأسرية كونها الابنة البكر في عائلة تقدّس العلم وتهيئ كل السبل لتمكين الأبناء والبنات علمياً ومعرفياً.

في هذه الفترة تختزن ذاكرة التلميذة الكثير من الحكايات عن معلماتها اللاتي شغفت بحضورهن الجميل وبمستواهن العلمي الرفيع وطرائق تدريسهن المحببة وأناقتهن اللافتة، ونسجت مع عدد منهن الكثير من العلاقات الطيبة والودية التي استمرت عدة سنوات، تخصّ بالذكر معلمة اللغة الانجليزية الفلسطينية نيللي سعادة المحبوبة ذات الشخصية الجذابة، والتي ستزورها أمينة رفقة والداها لاحقاً في مدينة القدس في العام 1961.

تتوقف أمينة أمام حدث مفصلي وقع لها في العام 1965، إذ كانت تتوق وتسعى للالتحاق بالجامعة أسوة بزميلاتها، ولكن وبسبب الأحداث السياسية التي مرت بها البحرين وتعطل الدراسة في النصف الثاني من العام الدراسي توقفت البعثات التي كانت متاحة وميسرة للجميع في ذلك الوقت، بيد أن أمينة سوف تلتقط خيطاً آخر معوّضاً، إذ تيّسر لها أن تنتسب إلى الدراسة الجامعية في مصر أولاً ثم بالحضور تالياً. ستعتبر أمينة لحظة دخولها إلى جامعة القاهرة لدراسة اللغة العربية أجمل فصل في مسيرتها التعليمية، هي التي أسماها والدها أمينة تيمنا بالكاتبة أمينة السعيد، وكم تمنى أن تكون صحفية على شاكلتها، وها هي تقف في قاعة الامتحان أمام الأديبة الكبيرة سهير القلماوي والتي ستبادرها بالسؤال عن شعراء البحرين قائلة لها «أنت يا أمينة قادمة من بلد الثراء الشعري».

من رتبة معلمة إلى مديرة مساعدة ثم مديرة مدرسة، ستنتقل أمينة من مدرسة إلى أخرى حاملة معها تجاربها التربوية المستمدة من قراءتها ودراستها وتدريبها ومتابعتها لأحدث الإصدارات في المجال الإداري والتعليمي والتربوي والفني والنفسي.

في ثلاث مدارس كبيرة ومهمّة، الحورة وخولة ومدرسة مدينة عيسى، وفي الفترة من السبعينات إلى التقاعد المبكر في عام 2001، سيتكرس اسم أمينة الصالح كعلامة تربوية بارزة واسماً مشعاً في حقل التعليم البحريني، إلا أن مدرسة خولة التي حظيت بمبنى عصري ونموذجي سيكون لها النصيب الأكبر في حديث أمينة، إذ ارتبطت بهذه المدرسة ارتباطاً وثيقاً، وكلا الاسمين أسند وأضاف إلى الآخر، مدرسة خولة التي اشتهرت في تلك الأعوام بالتفوق الدراسي والأنشطة المتعددة والطاقم الإداري والتدريسي المتميز جعل أولياء الأمور يفضلونها وينقلون بناتهم إليها. تشير الكاتبة إلى عدد من خريجات مدارسها الثلاث المتفوقات أمثال الشيخة مي الخليفة وندى حفاظ والهام حسن ومريم الجاهمة وغيرهن، ممن صنعن تاريخهن في حقبتها وتحت ادارتها وتبوأن المناصب القيادية لاحقاً.

تتحدث أمينة عن أهم القصص والحكايات التي شهدتها المدرسة مع بعض الطالبات وكيف تمّت معالجتها وفق الاسس التربوية والنفسية بشكل ذكي ودقيق ويحفظ سرية الشخصيات.

تعزو أمينة الفضل في نجاح تجربتها إلى اصرارها الذاتي والى أسرتها والى الأطقم الادارية والمساعدة التي عملت معها والشخصيات الداعمة لها.

نالت أمينة التي نذرت نفسها لهذه المهنة المقدسة التكريم والجوائز العديدة وتفرغت في مرحلة التقاعد لتنمية شغفها القديم، القراءة والزراعة والتطريز والطبخ وتقديم الاستشارات التربوية والتعليمة لطالبيها.

وعن نفسي فلقد تجاهلت في هذه السيرة التطرق إلى طرائق التدريس وبرامج وزارة التربية المختلفة ونظام الساعات المعتمدة والأنشطة وغيرها، تركتها لأهل الاختصاص الأقدر مني على معالجتها.

السيرة تعبر عن مرحلة مهمة في مسيرة التعليم الحكومي في مملكة البحرين، التي تتجه حالياً إلى مدارس المستقبل حيث التكنولوجيا والتعليم عن بعد وغيره، لذا تعدّ هذه السيرة مرجعاً للدارسين والمتخصصين، وقد قدّمته لنا المربية أمينة الصالح على طبق مُشوّق وجذّاب.

سيرتها تعبر عن مرحلة مهمة في مسيرة التعليم الحكومي في مملكة البحرين

العناصر الخمسة في تحولات الاقتصاد العالمي

يمر الاقتصاد العالمي بتحولات هيكلية كبرى مدفوعة بالتأثير المتزامن لخمس قوى أساسية ـ «القوى الخمس»: تقليص العولمة، وإزالة الكربون، والديون، والتحول الرقمي، والديموغرافيا.

أصبح الاقتصاد العالمي الآن مختلفًا تمامًا عما كان عليه قبل بضع سنوات فقط، قبل تفشي جائحة فيروس كورونا. تحدث تحولات هيكلية كبرى تعمل على تحويل الاقتصاد العالمي والتمويل العالمي والتي تنتج عن التأثير المتزامن لخمسة عوامل أساسية – «العوامل الخمسة»: إزالة العولمة (إزالة العولمة)، وإزالة الكربون (إزالة الكربون)، والديون المتزايدة (الديون)، الرقمنة (أو الرقمنة)، التركيبة السكانية، يسرد رونالد أوهانلي، رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي لشركة الاستثمار ستيت ستريت، في عمود لـ المنتدى الاقتصادي العالمي.

حسين الشويخ

عامل تفكيك العولمة

يتسارع التحول بعيدا عن العولمة حيث أن التوترات التجارية والمنافسات الجيوسياسية وإعادة تقييم نقاط الضعف في سلسلة التوريد تغذي القومية الاقتصادية المتجددة وإقليمية التجارة. ارتفع عدد القيود التجارية المفروضة سنويا حول العالم من نحو 1000 في عام 2019 إلى أكثر من 3000 في عام 2023. ونظرا لسياسة زيادة الرسوم الجمركية الأمريكية التي أعلنتها إدارة دونالد ترامب، فإن هذا العدد سيستمر في الارتفاع.

ويفرض تراجع العولمة تحديات كبيرة على النمو الاقتصادي ويزيد بشكل كبير من خطر ارتفاع التضخم. إن تجزئة التجارة تقلل من فوائد التخصص والمنافسة وتحد من وفورات الحجم. وفي الوقت نفسه، يحد التجزئة المالية من تدفقات رأس المال عبر الحدود ويزيد من التقلبات المالية الكلية. تظهر الأبحاث أن الاقتصادات المفتوحة تميل إلى انخفاض معدلات التضخم.

إن تأثيرات تراجع العولمة لن تكون موحدة. ومن المرجح أن تتأثر الاقتصادات النامية بشكل غير متناسب أكثر من الاقتصادات المتقدمة بسبب اعتمادها على الاستثمار الأجنبي المباشر وتعرضها لمخاطر إمدادات الطاقة والسلع الأساسية. ومن المهم أن نضع في اعتبارنا أن تراجع العولمة يمكن أن يعيق الجهود الرامية إلى التصدي للتحديات العالمية مثل تغير المناخ.

وفي الوقت نفسه، قد تستفيد بعض البلدان أو المناطق من انهيار العلاقات التجارية القائمة وتشكل علاقات تجارية جديدة. وهكذا، بدأت علاقات تجارية جديدة في الظهور في جنوب شرق آسيا مع ضعف العلاقات التجارية بين الصين والولايات المتحدة.

عامل إزالة الكربون

يحذر عالم المناخ الشهير فيرابادران (رام) راماناثان من أن ظاهرة الاحتباس الحراري ستحدث بشكل أسرع من المتوقع، وإذا لم تتم السيطرة على الانبعاثات، فسيشعر الجميع بتغير المناخ بحلول عام 2030 – وسوف «يدخل كل منزل مثل كوفيد-19».

إن تأثيرات تغير المناخ في شكل أحداث مناخية متطرفة هي بالفعل حقيقة قاسية، من حرائق الغابات في أستراليا إلى هطول الأمطار الغزيرة في دبي، والفيضانات في أوروبا، والحرائق الهائلة في كاليفورنيا في عام 2025، وزيادة شدة الأعاصير في الولايات المتحدة.

وهذه الحقائق مؤيدة للتضخم: فهي تتطلب دعماً مالياً للتكيف مع تغير المناخ، ولكن هذا الدعم لا يأتي مصحوباً بزيادات في الإنتاجية أو القاعدة الضريبية. ورغم أن السندات الخضراء والقروض المستدامة آخذة في النمو، فإنها لم تصل بعد إلى الحجم الكافي لمعالجة هذه التحديات ــ لذا ستكون هناك حاجة حتما إلى الدعم المالي.

عامل التركيبة السكانية. وتؤدي شيخوخة السكان إلى تقلص القوى العاملة. ويؤدي ارتفاع متوسط العمر المتوقع وانخفاض الخصوبة إلى زيادة العبء المالي بسبب ارتفاع تكاليف الرعاية الصحية واستحقاقات المعاشات التقاعدية للسكان المسنين.

وكما لاحظنا في مؤتمر بنك الاحتياطي الفيدرالي في جاكسون هول العام الماضي ، فقد أصبحت الأسواق المالية حساسة للغاية إزاء التوترات المالية وتأثيراتها على السياسة النقدية. وبما أن «إعادة كتابة» العقد الاجتماعي تظل خياراً غير مؤكد، فإن شيخوخة السكان وارتفاع معدلات الإعالة ــ نسبة الأطفال في سن العمل إلى الأطفال والمسنين ــ تعمل على خفض الإنتاجية وزيادة الدوافع التضخمية، في حين تؤدي إلى تفاقم المشاكل المالية.

عامل الديون

وتؤدي زيادة الإنفاق الحكومي إلى ارتفاع الالتزامات الحكومية، التي بلغت بالفعل مستويات قياسية. وصل الدين العالمي إلى مستوى قياسي بلغ 307 تريليون دولار، مدفوعا إلى حد كبير بالدول المتقدمة، وفقا للمنتدى الاقتصادي العالمي. أدى الدعم خلال جائحة فيروس كورونا وحده إلى زيادة الدين الوطني للبلدان المتقدمة إلى 50 تريليون دولار.

ومن المرجح أن تؤدي هذه الزيادة في الدين الحكومي، فضلا عن ارتفاع أسعار الفائدة مقارنة بالعقدين الماضيين، إلى ارتفاع علاوة المخاطر لإصدار ديون إضافية وارتفاع تكاليف خدمة الدين. على سبيل المثال، في الولايات المتحدة، سوف تتجاوز تكاليف خدمة الدين ميزانية الدفاع في عام 2025، وهو الاتجاه الذي من المرجح أن يتفاقم سوءا.

وتحد الديون المتزايدة من قدرة الحكومة على الاستثمار في البنية التحتية والتعليم والبحث، وهي المجالات التي تشكل المحركات الرئيسية للنمو الاقتصادي على المدى الطويل. ومن الممكن أن يتفاقم تأثير المزاحمة هذا إذا أدى الاقتراض الحكومي المستمر إلى زيادة تكلفة رأس المال بالنسبة للقطاع الخاص أيضا، وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى ارتفاع أسعار الفائدة.

عامل الرقمنة

وفي تناقض صارخ مع جميع التحديات الكبيرة المذكورة أعلاه التي تواجه النمو الاقتصادي العالمي، هناك الاتجاه نحو المزيد من التحول الرقمي. وتَعِد التحولات الرقمية والذكاء الاصطناعي والابتكار التكنولوجي بتوفير توازن موازن للقوى التي تعيق النمو الاقتصادي. على سبيل المثال، من الممكن تقدير مكاسب الإنتاجية المرتبطة بالتبني الواسع النطاق للذكاء الاصطناعي التوليدي (GenAI) عبر الصناعات بنحو 1.5٪ سنويا، مع فوائد اقتصادية إجمالية تتراوح بين 2.6 تريليون دولار إلى 4.4 تريليون دولار.

ويلخص أوهانلي أن التفاعل بين كل هذه "العناصر الخمسة" معقد للغاية. وتؤدي زيادة التعريفات الجمركية إلى انخفاض النشاط الاقتصادي، ونتيجة لذلك، انخفاض الإيرادات الضريبية، مما يؤدي إلى تفاقم عجز الموازنة. وفي الوقت نفسه، تعمل على زيادة التمويل لإزالة الكربون والقطاع الاجتماعي بسبب التحولات الديموغرافية. علاوة على ذلك، فإن هذه النفقات تضخمية وتحد من فعالية السياسة النقدية. ومن ناحية أخرى، من الممكن أن يساعد التقدم في التكنولوجيا الرقمية على تحسين استهلاك الطاقة وتسريع عملية تطوير التكنولوجيات النظيفة. إن تبنيها على نطاق واسع لديه القدرة على التخفيف من أي آثار تضخمية وتحقيق نمو أوسع في الإنتاجية عبر مجموعة واسعة من الصناعات.

صبرٌ عظيم على قدر أهل العزم

حسين آل الربيع

صبرٌ عظيم على قدر أهل العزم، الألم شديد والفقد كبير والفرحة عارمة، كيف يمكن لأحدٍ أن يحتمل كل هذه التناقضات، إنه شعب غزّة. نعم توقفت الإبادة رغم أنف المجرمين وبشروط أصحاب الحق الذين صمدوا وواجهوا بكل مافي الكلمة من معنى. انكسرت هستيريا الشرّ والتواطؤ العالمي الذي أرادَ أن يكسر إرادة غزّة الشعب والمقاومة.

نتذكر الآن نحن البعيدون جغرافياً عن غزّة، القريبون منها أخوّةً وعروبة وإسلاماً ومشاعر، عايشنا الإبادة لحظة بلحظة وكان لها الأثر الكبير على حالاتنا النفسية التي اختلط فيها الحزن والفرح والفخر والتأييد واليأس والأمل، لا أستطيع أن أصف الإرتياح الذي غمرني لحظة إعلان وقف الإبادة، كأن جبلاً من الهم الكامن بدأ يتداعى نحو الإنزياح، لله الحمد.

غريبٌ هذا التاريخ ما أصله! قالوا: إنه يسير وفقط خط مستقيم لا ينظر للوراء، وقالوا: إنه لولبي يدورُ صعوداً أو هبوطاً، وآخرون قالوا: إنه يسير بشكل دائري أحداثه متكررة، وجدلية صورية وأخرى مادية. شهد أجدادنا زمن النكبة والتطهير العرقي في فلسطين، وشهد أباؤنا زمن النكسة عام 1967 وحرب الإستنزاف في بداية السبيعينات، وما تلى ذلك من أحداث مصيرية، وشهدنا نحن أكبر إبادة جماعية في التاريخ لحظة بلحظة بكل بشاعتها، والفيصل في كل تلك الأحداث أن الشعب هو الشعب وأن عنفوانه متصاعد، مثل الذهب الخالص كلما صقلَتهُ المصاعب والفظائع التي تمارسها قوى الشر العالمية كلما زاد لمعاناً وبريقاً.

«حقيقةً يعرفها من عاصر توالي تلك الإمبراطوريات على فلسطين، أن عمْرَ الرجال أطول من عمرِ الدول.»، كما يقول ابراهيم نصرالله.

شيء كنا نؤمن به ورسّخه السابع من أكتوبر المجيد ترسيخاً، مفاده: أن الشعوب لاتموت والمقاومة فكرة لا يمكن أن تمحى ما دام الإحتلال والظلم موجودان. إنها الحتميّة التي تتولد من نقيضها. هنا انكفأ زحف المغول في عين جالوت، هنا تكسرت الحملات الصليبية على أسوار صُور وعكا وعسقلان، هنا اندحرت الإبادة وجحافل الشياطين على شريط غزة وجنوب نهر الليطاني.

السلام على السيد الشهيد الذي بذل نفسه دون شعبه و فداءً لغزة، السلام على القائد الجهادي الذي رمى بالعصا ولم يكن في اليد غيرُها واستشهد بثبات أشجار الزيتون، السلام على الشهداء الذين جادوا بأنفسهم منهم من استشهد في طهران ومنهم من استشهد في بيروت ودمشق واليمن، السلام على الجرحى، السلام على المقطوعة أطرافهم، السلام على المرضى، السلام على الذين فقدوا أعينهم وأصابعهم، السلام عليكم جميعاً يا أهل غزّة ويا أهل الجنوب، ميتكم وحيكم، ملثمكم، مدنيّكم، طبيبكم، نساؤكم ورجالكم، أطفالكم وصبيانكم وشيوخكم ورحمة الله وبركاته. كان الله في عونكم على كل هذا الفقد العظيم... فالله ما أعطى، ولله ما أخذ.

برغم قلة العدد والعتاد يدرك المناضل الفدائي أنه ربما لن يستيطع تغيير العالم، ولكنه متأكد من أنه لن يسمح لقوى الشر العالمي أن تبدّله وتستولي عليه لأنه صاحب حق وحقيقة. ذُكِرَ عن الشاعر السموْءَل وهو شاعر عربي – يهودي بالمناسبة– واسمه معرّب من صموئيل أو شموئيل وهو من أولى طبقات شعراء العصر الجاهلي قوله في لاميته المشهورة التي تتحدث عن فضيلة الشاجعة والصبر رغم قلة العدد وهو مايمكن أن ينطبق على أهل غزة في ثباتهم وقلة عددهم وصغر المساحة الجغرافية وشح الموارد...الخ إلا أنها صنعت نصراً وثباتاً رغم كل شيء، يقول:

تُعيِّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا
فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وما قَلَّ من كانت بقاياه مثلُنا
شبابٌ تسامى للعُلى وكُهولُ
وماضرّنا أنّا قليلٌ، وجارُنا
عزيزٌ، وجارُ الأكثرينَ ذليلُ
صفَوْنا فلم نكدَر وأخلصَ سِرُّنا
إناثٌ أطابَت حملنا وفحولُ
وننكر إن شئنا على الناس قولهم
ولا ينكرونَ القولَ حينَ نقولُ
إذا سيدٌ منّا خَلا قامَ سيّدٌ
قَؤولٌ لِما قالَ الكرامُ فعولُ
وما أخمدَت نارٌ لنا دونَ طارقٍ
ولا ذَمّنا في النازلينَ نزيلُ
سلي إن جَهلتِ الناس عنّا وعنهمُ
فليْس سَواءً عالمٌ وجهولُ

(قف)

الإسلام السياسي والديمقراطية

قلنا في مقال سابق، إن أهم مسألة احتدم النقاش حولها، ولايزال، هي تلك المرتبطة بمستقبل الديمقراطية في الدول التي شهدت ثورات اقتطف ثمارها الإسلام السياسي، كما جرى في ليبيا، وكذلك الحال في تونس (حركة النهضة) ومصر (الأخوان) بعد أن فازت الأحزاب الدينية بالأغلبية في الانتخابات النيابية. أما كيف فازت؟ وهل لعب المال السياسي في شراء الذمم؟ وهل رسم هذا الفوز خارطة الديمقراطية التي تحترم التعددية؟ أسئلة جوهرية كانت مصدر اهتمام الكثير من المفكرين والسياسيين والمهتمين بشؤون الديمقراطية وعلاقة الإسلام السياسي بالديمقراطية.

فهد المضحكي

للباحث عزمي بشارة بحث بعنوان "مدخل إلى معالجة الديمقراطية وأنماط التدين" أشار في مقدمته إلى أنه لا يمكن أن تقوم بين الديمقراطية والدين علاقة تشتق بموجبها الديمقراطية من الدين أو الدين من الديمقراطية، فالمفهومان ينتميان إلى مستويين مختلفين من التجربة وجوهر مصطلح الدين، أي دين هو "المقدّس" ولكن التعامل مع المقدّس هي مهمة اجتماعية تتم في ظروف تاريخية محددة. وجوهر الديمقراطية، أي ديمقراطية، هو تنظيم عملية والسيطرة بشكل محدد في الحياة الدنيوية.

السؤال حول علاقة حول الدين بالديمقراطية هو سؤال، كما يقول، حول علاقة مفهومين ينتميان إلى عالمين مختلفين، ولا فائدة نظرية ترجى من وراء هذا السؤال. كذلك لا فائدة من سؤال حول التلاؤم أو التخارج بين الإسلام والديمقراطية، والحقيقة أن من يطرح مثل هذا السؤال يجد نفسه في سياق البحث مرغمًا على التعامل مع سؤال آخر أكثر تحديدًا يدور حول الإسلام العيني في مكان وزمان محددين، ومن خلال ممارسات اجتماعية التدين في الزمان والمكان نفسهما من أجل التمكن من البدء بالتعامل مع هذه السؤال. وإذا أصر الباحث على إثارة السؤال حول التلاؤم أو التخارج بين الإسلام والديمقراطية أو بين المسيحية والديمقراطية فإنه يجد إجابة واحدة ثابتة ولا فائدة نظري ترجى من ورائها وهي: لا تلاؤم قطعًا.

ومن الشواهد والأدلة على ذلك، شهد العالم العربي محاولات متعددة للإسلام السياسي الأصولي للتعامل مع الديمقراطية وأرْقَاها محاولة راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة التونسية، فهو إلى جانب قبوله الديمقراطية سياسيًا وتكتيكيًا من أجل الوصول إلى السلطة وتبديد المخاوف من سيطرة الحركة الإسلامية الأصولية على السلطة حاول تأكيد هذا القبول فلسفيًا بمحاولة لملاءمة الإسلام مع الديمقراطية أو العكس، لتعني "الشورى" ديمقراطية بالمعنى الحديث. ولكن الغنوشي يتجاوز هذا الادعاء بأن الإصلاح الديمقراطي في أوروبا لم يكن ممكنًا دون إصلاح ديني سبقه مغيّرًا العقليات والنفوس، بكلمات أخرى يدعي الغنوشي أن الحركة الإسلامية لا تستطيع التعايش مع الديمقراطية فحسب بل هي الطريق الوحيد الممكن إلى الديمقراطية؛ لأن تنفيذ هذه مهمة الإصلاح منوط به ولزملائه، ويعتقد الغنوشي – وهنا مربط الفرس – أن سلطة أو سيادة القانون تابعة نظريًا مفهوميًا من سيادة الله، أي من وجود سلطة عليا لا تتغير مهما تغير الأفراد وتعاقبوا على السلطة.

ويتوقف "بشارة" عند تجربة تفيد بعدم وجود توافق بين "الإسلام" والديمقراطية، وهنا يشير إلى سيد قطب في رفضه أي فكرة لسيادة الشعب واعتبارها تعديًا على سيادة الله، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأفغاني حفيظ الله نوري الذي يعتبر فكرة المساواة وهي أساس الديمقراطية مرفوضة في "الإسلام" فلا أساس برأيه في "الإسلام" لمساواة الزوج والزوجة والغني والفقير والمؤمن وغير المؤمن والعالم والجاهل والمريض والصحيح .. إلخ. كما أن الإسلام ليس بحاجة إلى مجالس تشريعية !! وفي هذا السياق، يتطرق أيضًا إلى المرجعية الواحدة التي تقر بالتعددية ضمن الشريعة وليس الشريعة ضمن التعددية.

وإذا كان، كما يقول بشارة، أن التيار الغالب في الإسلام السياسي يقصر التعامل مع الديمقراطية على الجانب السياسي، معتبرًا هذا الجانب مقبولًا بدرجات متفاوتة، إلا أنه يعود إلى تقييده في حالة وصوله إلى السلطة، وندلل على ذلك بنص ليوسف القرضاوي ورد في كتابه "الحلول المستوردة وكيف قضت على أمتنا"، يقول القرضاوي: "إن أفضل جوانب الليبرالية الديمقراطية – في نظري – هو جانبها السياسي الذي يتمثل في إقامة حياة نيابية يتمكن فيها الشعب من اختيار ممثليه، الذين تتكون منهم السلطة التشريعية في البرلمان، في هذه الحالة تصبح الأمة مصدر السلطات وتراقب السلطة المنتخبة السلطة التنفيذية. إن هذه الصورة طيبة ومقبولة من الوجهة الإسلامية – في جملتها – وإنما قلت في جملتها لأن هناك بعض التحفظات على أجزاء معينة من الصورة، فالسلطة المنتخبة لا تملك التشريع فيما لم يأذن به الله .. ولهذا يجب أن يقال: إن الأمة مصدر السلطات في حدود شريعة الإسلام. كما يجب أن يكون في المجالس التشريعية هيئة من الفقهاء القادرين على الاستنباط والاجتهاد، تعرض عليها القوانين لترى مدى شرعيتها أو مخالفتها «.

أما فيما يتعلق بسوريا التي أصبحت في قبضة الإسلام السياسي "هيئة تحرير الشام" ، يكفي أن نشير إلى قول ينسب إلى الكاتب حاتم علي: الأمر قد يبدو صعبًا، خاصة أن الجولاني لم يتلفظ بكلمة "ديمقراطية" حتى الآن، بل تكلم – هو وحكومته – بنقيضها، إذ أجاب على الأسئلة التي تخص الدستور الجديد بأنه سيتركها لما أسماه "لجان من المختصين في هذا الشأن"، هذا ما يُشعل نار الشك والتساؤلات: من هي هذه اللجان؟ من يعينها؟ هل تُعين على شاكلة التعيينات التي نراها الآن؟ لنبرّرها تحت عنوان "ضرورة الانسجام مع هذه المرحلة"؟ فلو كان الجولاني يسعى لدولة ديمقراطية كان يفترض أن يكون الجواب: "مؤتمر وطني جامع لجميع القوى والتيارات السورية"، أما كلمة "لجان ومختصين" فلا تذكرنا سوى بدوامات ومتاهات النظام البائد».

الخلاصة، لا توجد هناك علاقة بين تيار الإسلام السياسي والديمقراطية، وإن وجدت فإنها ليست إلا تكتيكًا للوصول إلى السلطة.

الهمجيّة من زوايا أخرى:

إبادةُ غزّة أنموذجاً

بعنوان «هل نقترب من مُجتمعٍ ديستوبيّ؟" (مقالة لنا نُشرت في ملحق "أفق" العدد ١٤٤ – أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٣)، وقبل الاجتياح الإسرائيليّ لقطاع غزّة، ذَكرنا أنّ وقائع عدّة باتت تشير راهناً إلى أنّ حضارتنا باتت على مرمى قوسَيْن من إدراكِ حال الهمجيّة، في ظلّ الاجتياح الهائل للثورة التكنولوجيّة وإيديولوجيّتها المُسيطرة على المعمورة بأسرها، وما يُرافق ذلك من ازدواجيّةٍ في المعايير، ومن انزياحاتٍ عن الحقّ نحو اللّاعدالة، وعن الحريّة نحو القمع، وعن الديمقراطيّة نحو ديكتاتوريّةٍ تستقوي بامتلاكها زمام هذه الثورة. وفي هذه المقالة نُقارب هذه الهمجيّة من زاوية أخرى، حتّمتها عمليّات الإبادة الإسرائيليّة للفلسطينيّين في قطاع غزّة.

د. رفيف صيداوي

كثرٌ هُم هؤلاء المفكّرون والفلاسفة والمثقّفون الغربيّون الذين لم ينقطعوا يوماً عن نقد الحضارة الغربيّة ومُمارساتها حتّى الساعة

لن تكون البداية حول حرب الإبادة التي يُمارسها الغرب بقيادة الولايات المتّحدة وإسرائيل على أهل غزّة، بل بما ترمز إليه هذه الإبادة أو حرب التطهير العنصريّة هذه من فضْحٍ لكلّ مقولات الغرب حول حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، والحريّة، والديمقراطيّة، والسلام... وإلى ما هنالك من مقولات تبنّاها شعاراتيّاً، ولا يزال يُمارس التضليل الإعلاميّ تحت عناوينها؛ البداية ستكون من إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلي "نتنياهو": "نحن لا نخوض حربنا فقط، بل نخوض حرب جميع الدول المتحضّرة"؛ أي من إعلانه حرباً بين الحضارة (حضارة الغرب وإسرائيل) والتوحُّش(أي الفلسطينيّين والعرب)، ومن تبرير وزير الدّفاع الإسرائيليّ "يوآف غالانت" المبنيّ على ضرورة إبادة سكّان القطاع لكونهم "حيوانات على شكل بشر".

إنّها حربُ إبادة تحت راية التحضُّر، وحفْظ السلام، وغيرها من العناوين التي لطالما انتقدها كِبار فلاسفة الغرب المتنوّرين، وحاولوا تعريتها بسبب ما جرّته، ولا تزال، على العالَم من ويلات، ولاسيّما مع بلوغ الرأسماليّة المتوحّشة أعلى مراتب التوحُّش، على المستويات السياسيّة والجيوستراتيجيّة والاجتماعيّة والإيديولوجيّة والثقافيّة، وحتّى القيميّة وغيرها، ودائماً في إطار المركزيّة الغربيّة التي تحمل راية الانتقال بالآخر (المتوحّش والبربريّ) إلى مصافّ التحضُّر.

لكن في المقلب الآخر، لطالما كان كِبار المفكّرين والفلاسفة والمثقّفين الغربيّين هؤلاء، فضلاً عن عددٍ من التيّارات والمدارس الفكريّة والنقديّة، يفضحون "التحضُّر الزائف" للغرب؛ ومن تلك الرموز، نذكر، مثالاً لا حصراً، "مدرسة فرانكفورت" التي تأسّست ما بين الحربَيْن العالميّتَيْن تحت وطأة المُشكلات السياسيّة والاجتماعيّة للقرن العشرين وحروبه التي اضْطلع بها الغرب الرأسماليّ، والتي كان من أبرز رموزها: ماكس هوركهايمر وتيودر أدورن (1903 - 1969)، وهربرت ماركو (1898 - 1979)، ويورغن هابرماس (1929 -) وأكسل هونيت (1949 -)... إلخ. كان هؤلاء وسواهم من أشدّ المنتقدين والثائرين على العنف والتسلُّط وسيطرة التقنيّة، وما يُرافق ذلك من اغتراب وتشييءٍ للإنسان، وما أنتجته أفكار التنوير من مفاهيم طوّعتها الحداثة أو الغرب في سبيل الهَيْمنة على العقول بدلاً من تحريرها، ومُمارسَة التضليل الإيديولوجيّ، تحت عناوين برّاقة.

كثرٌ هُم هؤلاء المفكّرون والفلاسفة والمثقّفون الغربيّون الذين لم ينقطعوا يوماً عن نقد الحضارة الغربيّة ومُمارساتها حتّى الساعة. ففي حوار أعقبَ أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001، أجرته جيوفانا، وهي أكاديميّة وباحثة أميركيّة من أصل إيطالي، مع كلٍّ من هابرماس وجاك دريدا ، ينتقد الأوّل رئيس الولايات المتّحدة الأميركيّة آنذاك، جورج بوش الابن، قائلاً: "عندما يُطلِق بوش وجماعته تسمية محور الشرّ، يكون علينا بلا شكّ أن نبتسم، وأن نفضح في آنٍ معاً التضمينات الدّينيّة، والحيَل الصبيانيّة، والتعمية الظلاميّة لهذا الأسلوب المُتقعِّر"، لأنّ هذا السلوك الغربيّ ما هو، بحسب هابرماس، إلّا مواجهةٌ لِما يُهدِّد "عَولَمة العالم" (جيوفانا بورادوري، الفلسفة في زمن الإرهاب، ترجمة خلدون النبواتي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013، صـ167)؛ فيما اعتبر الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا أنّ حَدَثَ الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول كَشَفَ عن "سُبات عقائديّ" للغرب، لا يُمكن الاستيقاظ منه سوى بتفكُّرٍ فلسفيّ جديد، لأنّ الخطاب السائد، والمقصود الخطاب الغربيّ بالطّبع، هو، في رأيه، "خطاب وسائل الإعلام، والكلام الرسمي المُتحذلق الذي يَعتمد بسهولة مُبالغ فيها على مفاهيم مثل "الحرب" أو "الإرهاب" (القومي أو الدولي)" (المرجع نفسه، ص169)، وأنّه كلّما كان مفهوم الإرهاب غامضاً ودوغمائيّاً "كان من السهل مواءمته انتهازيّاً"، وأنّه نتيجة "القرارات المُستعجلة للأمم المتّحدة وإدانتها، بلا نقاش فلسفي لموضوع "الإرهاب الدولي"، تكونُ قد خوّلَت الولايات المتّحدة استخدامَ جميع الوسائل، التي رأتها الإدارة الأميركيّة مناسبة، فقامت بملاءمتها، وفقاً لأغراضها، لتحمي نفسها ممّا يُدعى الإرهاب الدولي" (ص174).

الجذور النفسيّة والسوسيولوجيّة للضغينة

إذا ما عُدنا بالتاريخ إلى علاقة العرب بغيرهم من الحضارات، ومنها الصينيّة تحديداً، نلْحظ مثلاً، أنّه، وبعكس ما مثّله "طريق الحرير القديم" من رمز لتبادل اقتصاديّ وتجاريّ وثقافيّ متكافئ بينَ الحضارتَيْن، ولعلاقات سلميّة خالية من الأحقاد، انطوتْ علاقةُ الغرب بالعرب على أحقاد سبَّبتها الغزوات والاحتلالات والاستعمارات المباشرة، واستغلال مواردهم الطبيعيّة والبشريّة. يَذكر الكاتب الصينيّ "وو قن يو" في مقدّمة كتاب "جذور الثقافة والقِيم الصينيّة" أنّه "في الحادي عشر من شهر يوليو في السنة الخامسة بعد المائة الرّابعة عشرة للميلاد تحديداً، انطلقَ من ميناء ليوجياقانغ في مدينة سوتشو، أسطولٌ صينيٌّ عظيم في رحلة عبر نهر اليانغتسي، ومنه إلى المُحيط الهادئ. كانت تلك بداية أعظم رحلة بحريّة عرفها تاريخ الصين والعالَم آنذاك. اشتمل الأسطول على عدد من السفن الضخمة؛ أضخمها بطول 148 متراً، وعرض 60 متراً، وحمولتها أكثر من ألف طنّ وتتّسع لألف راكب. لم تكُن مهمّة الأسطول البحث عن الذهب أو الكنوز الأخرى، وإنّما نَشْر فضيلة رن (أي الرّحمة) لإمبراطور أسرة مينغ إلى بلدان جزر جنوبيّ المُحيط الهادئ، بهدف إقامة تعايُش سلميّ معها... كان عالَماً مُختلفاً عن الدوافع التي جعلتْ كولمبوس يُبحِر بحثاً عن الثروة عبر الأطلسي" (ترجمة حسين إسماعيل، صادر عن مؤسّسة الفكر العربيّ، 2012، ص13). فكان عالَماً مُختلفاً عن علاقة السيطرة والاحتلال التي مارسها الغربُ الاستعماريّ على غيره من بلدان المعمورة منذ أواسط القرن الخامس عشر، والتي عرَّضت التبادُلات الثقافيّة الغنيّة على طول الحزام الثقافيّ لطريق الحرير القديم للاضطراب "عندما بدأت البوارج الحربيّة الأوروبيّة سعيها للسيطرة على منافذ التجارة والمواصلات في العالَم القديم، تمهيداً لشنّ حملتهم العدوانيّة على شعوب آسيا وأفريقيا. وبالفعل قامت البوارج بإحكام سيطرتها على طُرق ومنافذ البحر الأحمر والمُحيط الهنديّ لتعوق التبادُل التجاريّ والثقافيّ السلميّ ولتُعكِّر كذلك سلام الشعوب.

ولأوّل مرّة منذ عدّة قرون بدأت الشعوب القاطنة على ضفاف وجُزر المُحيط الهنديّ والخليج العربيّ تسمع طلقات المَدافع بدلاً من أهازيج البحّارة القادمين من الصين" (جعفر كرار أحمد، "الحزام الثقافيّ: تاريخ التبادُل الثقافيّ بين الصين والعرب"، مجلّة المستقبل العربيّ، العدد 459، أيّار/ مايو 2017).

ما ذكره "وو قن يو" وسواه يؤكّد أنّ الضغينة التي يحملها بعض العرب تجاه بعض الغرب هي صنيعة هذا الغرب نفسه وزيفه، وليست البتّة كما يصفها بعض الغرب أيضاً، بأنّها ناتجة عن "صراع حضارات" و"طوائف" تُرجِمَ بالإسلاموفوبيا، ورهاب الغرباء xénophobie، بل إنّها صراع الضعيف ضدّ القويّ الذي يستأثر به وبوجوده، والتي تعود بجذورها إلى الماضي البعيد.

وفي هذا الصدد يُخبرنا الباحث العراقيّ هادي العلوي أنّه مع احتدام الصراع السياسيّ والاجتماعيّ في الدولة الإسلاميّة، صارت كلٌّ من الهند والصين محطّةَ لجوء للمُعارضة الإسلاميّة.

وأنّه لوحِظَ توجُّه المُعارضين المُسلمين إلى الأصقاع الشرقيّة دون بلدان أوروبا الأقرب مكاناً، مع أنّ كلاهما، بحسب منطق ذاك الزمان، "دار كفر" عند المُسلمين. أمّا تفسير ذلك، فهو "عدم ظهور حالة حرب كتلك التي سادت بين المُسلمين وكلٍّ من الروم والافرنج"، في حين أنّ ذِكر الهند والصين كان يتمّ في سياق طبيعيّ، وذكْر الروم ومَلك الإفرنج بطاغية "الافرنج أو الطاغية بإطلاق. ويُذكر مَلك الصين ومَلك الهند بلقبه العاديّ" (هادي العلوي، المستطرف الصينيّ "من تراث الصين"، دار المدى، 1994، ص 293 - 294).

غزّة المذبوحة

بالعودة إلى أحداث غزّة المضرّجة بدماء أبنائها، نقف مدهوشين، مرّة تلو المرّة، أمام هذا العالَم الذي فقدَ فيه الإنسانُ إنسانيَّتَهُ، والخطابُ مدلولاتِه، فصارت "الهمجيّة" بمفهوم إسرائيل والقوى الغربيّة المُسيطرة، تُعادِل الحضارة، و"القتل والإبادة" يُعادلان التسامُح والتعايُش، و"تزييف الواقع" يُعادل الشفافيّة، و"مُحاربة الاحتلال" تُعادل العدوان... إلى ما هنالك من اختلاط الدّوال والمدلولات غايته تثبيت معادلة حقّ الغالِب والأقوى في محو المغلوب والأضعف في إطارٍ من علاقة غير مُتكافئة تمنح الحقّ الحصري للأوّل في الاستئثار بالحياة والثروات والأرض والمَوارِد.

الشيوعية الأوروبية: قيام وسقوط مشروع الأمل (٤-٤)

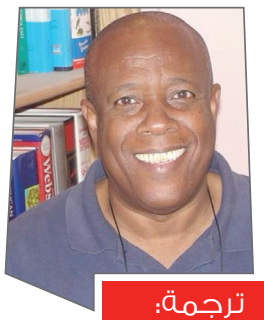

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Andrea Donofrio

بعض الإنعِكاسات

كما ذُكِرَ في المقدمة، واجهت الشيوعية الأوروبية كثيراً من المصاعب والعقبات التي عقّدت حملها وتطورها. في سبعينيات القرن الماضي، كانت الأحزاب الشيوعية في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا تواجه تغييرات هيكلية عميقة في مُجتمعاتُها. وهذه تضمنت 'تفكك القاعدة الإجتماعية والإنتخابية التي كانت ترتكز عليها الأحزاب الشيوعية. يمكنك أن تقول، إنخفاض حجم الطبقة العاملة التقليدية وأزمة بعض القِطاعات العُمالية حَيثُ كان الشيوعيون مُتجذرين بشكل خاص'.

لقد تآكلت القاعدة التقليدية للشيوعيين مع إضعاف الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية: حيثُ أثرت الأزمة الإقتصادية الشديدة بشكل خاص على القطاعات الصناعية (التعدين والصناعة الثقيلة والصلب) التي كانت تُشكّل القاعدة الإنتخابية للشيوعيين. وكان هذا وضحاً بشكل خاص في حالة فرنسا. وعلى نطاق أوسع، كان على الأحزاب الشيوعية أن تتعامل أيضاً مع 'التغيّر الثقافي في الغرب':

... الذي أكّدَ على الفردية على حِساب علاقات إجتماعية مُعيّنة، منها الوعي الطبقي والتضامن. ومثل ذلك، تَغيُرات في البُنية الإجتماعية، مع المصالح التي أصبحت الآن أقلُ تركيزاً على الأولويات الإقتصادية أو المادية، مما أدى إلى إبتعاد المجتمع عن الخِطاب الكلاسيكي للأحزاب الشيوعية ... وأخيراً، ساهم التشكيك المُستمر في النموذج السوفييتي أيضاً في تراجع الأحزاب الشيوعية الغربية.

لقد أثرَ تزايد عدم شعبية النموذج السوفييتي على جميع الأحزاب، حتى تلك التي حاولت النأي بنفسها عن الإتحاد السوفييتي (الحزبين الشيوعيين الإيطالي والأسباني). بالإضافة إلى، أن الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الإيطالي والحزب الشيوعي الأسباني كانوا يواجهون أزمة أيديولوجية عميقة، التي يمكن تلخيص جوهرها في حاجتهم 'للأختيار بين النقاء العقائدي والوحدة العقائدية'. وبُناءً على ذلك، بدأوا في التفكير في الإستراتيجيات والتكتيكات اللازمة لتحقيق أهدافهم، والتي حددوها بزيادة عضويتهم وقوتهم الإنتخابية؛ وتقديم أنفسهم كبديل موثوقٌ بهِ للحكومة؛ والتشكيك في العقيدة الشيوعية؛ واقتراح عناصرٌ جديدة للتأمل بما يتماشى مع التغييرات التي حدثت في بلدانهم. ونتيجة لهذه الحاجة إلى التأمل، تناوب التردد التكتيكي مع التصريحات الحازمة، والقرارات الغامِضة مع التقدم الملموس. وقد دفع هذا البعض إلى القَول بأن:

لم تكُن العقيدة الشيوعية ضعفت فحسب، بل كانت تتفتت على نحو مُتزايد، سوى على المستوى النظري أو العملي. كان العمل الشيوعيً يغوص في أعماق الماضي، فاسحاً الطريق لبرجماتية ترتكز على مركزية ذات ظروف وطنية مُتنوعة ومُحددة. وما كان يُعد ذات يوم أمراً عالمياً أصبح هيمنة على الخصوصيات أكثر فأكثر.

إنهُ لأمرٌ صعب أن نُقيس النجاح السياسي على الفشل، نظراً لأن أي تقييم يعتمد على نوع العوامل التي تؤخذ في الإعتبار.ومن الواضح أن الشيوعية الأوروبية فشلت في تحقيق أهدافها ووعودها. ومع ذلك، فمن الناحية الموضوعية، لا بُدَ من الإعتراف أيضاً ببعض الإنجازات المُهمة، سواء داخل المجال الشيوعي أو فيما يتعلق بالوضع الداخلي في البُلدان التي كانت الأحزاب الشيوعية نَشطة فيها.

وفيما يتعلق بالتغييرات في التفكير الشيوعي، قامت الشيوعية الأوروبية بتأملٌ نظري أصيل، وإن كان سطحياً، أخذ في الإعتبار السياق السياسي والإجتماعي والإقتصادي الذي تعمل فيه هذه الأحزاب. وأظهرت روح النقد الذاتي في مُحاولتها التغلب على أخطاء عمليات البناء الإشتراكي الذي تم تنفيذه حتى ذلك الزمن. وفي الوقت نفسه، كان التفكير الشيوعي الأوروبي يتأمل ويُقدم مُساهمة في التفكير في مفاهيم مُهمة مثل الديمقراطية والحرية. لقد فهم أن مفهوم 'دكتاتورية البروليتاريا' لم يعُد جذاباً في سبعينيات القرن الماضي. وفي مواجهة المجتمعات التي إعتادت على الأنظمة الديمقراطية، كانت السُلطة المُغرية للنظام الدكتاتوري مَعدومة عملياً.

لقد تخلى الحزب الشيوعي الإيطالي والأحزاب الشيوعية الأوروبية الأخرى عن وجهة نظر دكتاتورية البروليتاريا، لقد وضعوا مفهوماً للهيمنة الذي يفصل ما كان مُتحداً في اللينينية وغرامشي، بعبارة أخرى، الهيمنة والدكتاتورية؛ لقد وضعوا في المركز مُشكلة ديمقراطية الدولة البرلمانية، حيثُ يجب تفكيك الديناميكية البيروقراطية الأستبدادية.

وأدرك الشيوعيون الأوروبيون أيضاً أن المجتمع السوفييتي لايمكن أن يكون القدوة الذي يُحتذى به:

... لقد قدم في كثير من النواحي ميزات لا يستطيع أي حزب شيوعي أوروبي تقديمها في بلدهِ الأم في حالة الإطاحة بالنظام الرأسمالي. واليوم، بدلاً من مجموعة من العقائد الثابتة، هناك المزيد من التساؤلات النقدية وطلبٌ مبدئي للنقاش المفتوح.

وهم أيضاً يفكرون في 'العودة' إلى غرامشي وفكرهِ – بالنسبة للبعض حتى 'غرامشي الشيوعي الأوروبي' لأن هذا جعل من المُمكن فهم أن «النظام السوفييتي الحالي يُشكل نفياً ليس فقط للمبادئ التي تدعو إليها الأحزاب الشيوعية الأوروبية اليوم، ولكن أيضاً لمبادئ وأهداف البلشفية في أُصولها».

من حيثُ السياقات الوطنية الخاصة بكل منها، كان موقف الأحزاب الشيوعية الأوروبية مُفيداً جداً. ففي حالة إيطاليا، على سبيل المثال، ساهم موقف الحزب الشيوعي الإيطالي في مُكافحة الإرهاب، من خلال مُعارضته للعُنف الذي تُمارسهُ التشكيلات اليسارية غير البرلمانية؛ كما ساعد في عزلها من خلال التأكيد على قيمة الديمقراطية: 'إن الديمقراطية الإيطالية مَدينةٌ بالكثير – ومن الواجب أن نقول هذا – للعمل الذي قام بهِ الحزب الشيوعي الإيطالي في هذا المجال، حتى أنهُ ضحى بتطلعات الحزب المشروعة في إطار سياسة التضامن الديمقراطي'.

مما لا يمكن نكرانه أن الحزب الشيوعي الإيطالي إلتزم بموقف مسؤول للغاية خلال ما يُعرف بـ 'سنوات الرصاص' الإيطالية. وهذا هو الحال بشكل خاص نظراً لأن الإرهاب اليساري كان في كثير من الأحيان مُتخفياً تحت راية 'تحقيق الإشتراكية'، وهو ما يعني أن نشاط هذه الجماعات المُسلحة كان مُرتبطاً في كثير من الأحيان بأيديولوجية الحزب. ورداً على ذلك،'رد الحزب الشيوعي الإيطالي بأنهُ أصبح حزب القانون والنظام والمُدافع الرئيس عن الدولة الإيطالية'. ونأى الحزب بنفسه عن هذه الجماعات، ورفض دعمها، وأحبط نشاطها، وأنكر الفائدة المزعومة للعمل العنيف في الطريق إلى الإشتراكية.

ومن جانبه، ساهم الحزب الشيوعي الأسباني الأوروبي في إرساء وتعزيز الديمقراطية، وأظهر موقفاً مسؤولاً في بعض اللحظات الحرجة خلال الفترة الإنتقالية التي أعقبت وفاة الجنرال فرنكو. وهذه تضمنت ردفعل الحزب على مذبحة اليمين المُتطرف في منطقة أتوتشا Atocha في العاصمة مدريد، التي كانت تهدف إلى إثارة رد فعل عنيف، وصموده لفترة طويلة قبل تشريعها في نهاية المطاف. وفي العموم، كما قال المؤرخ جوف إيلي Geoff Eley، ' تحت راية الشيوعية الأوروبية، حققت هذه الأحزاب إصلاحات حَسَنت حياة المواطنين': وفي حالة إسبانيا هذا يعني تحقيق الدستور، إصلاح جهاز الشرطة والأمن، وإلغاء عقوبة الإعدام، وإدانة التمييز على أساس الجنس. والحصول على وسائل منع الحمل، وإلغاء تجريمها أخلاقياً. وفي إيطاليا، كان يعني تقوية الأقاليم وتحسين المناطق الحضرية إيجارات عادلة وإسكان إجتماعي وصحة عقلية وصرف صحي وتشريع الإجهاض وتوسيع الخَدَمات – حتى وإن تم إبطال بعض هذِ الإجراءات بسبب الفساد المُستشري في الحزب الحاكم .

وعلق المؤرخ إيلي Eley أيضاً قائلا، بأن إعتدال سانتياغو كاريلو Santiago Carrillo، والإعتراف بالنظام الملكي، وقبول الإستمرارية في القضاء والإدارة المدنية، يعني أن الإستراتيجية الشيوعية الأوروبية لم يكُن من المُمكن تنفيذها في حزب ستاليني. كانت الشيوعية الأوروبية بمثابة مُحاولة 'للهروب من البديل الأبدي الذي أسستهُ الستالينية: أي 'المُراجعة' أو الحفاظ على 'إستقامة الرأي'. كان هناك رغبة في التغلُب على المُعضلة – التي كانت موضع إنتقادات الفيلسوف والمؤرخ السياسي الإيطالي نوربيرتو بوبيو Norberto Bobbio – بين "الرأسمالية مع الديمقراطية أو الأشتراكية بدون الديمقراطية". ولكن هذه الرغبة فشلت في تحقيق أهدافها ووعودها. وكما زعم الصَحَفي الأسباني لودولفو باراميو Ludolfo Paramio في عام 1988:

إن مفتاح أزمة الشيوعية الأوروبية موجود في طبيعة المشروع نفسه، في الحاجة إلى جمع بين استراتيجية إصلاحية وهوية ثورية. وأي تحول على طول هذين الخطين يتطلب توازناً رفيعاً للإيقاعات. فمن ناحية، لا بد من موازنة كل خطوة جديدة نحو الإصلاح بعناية حتى لا نُخيّب آمال النُشطاء في الحزب.

وهذا التوازن لم يتحقق، وإنتهى المطاف بالشيوعية الأوروبية إلى أن تُصبح أكثر دعائية وسطحية من كونها حقيقية ونظرية، وغير قادرة على استكشاف مسارٌ جديد. وخلال وجودها القصير فضلت التخلي عن ما كان يُعتبر في السابق أمراً ضرورياً، والتشكيك في ما كان أساسياً لبقاء الحركة، وتشويه الركائز الأساسية للشيوعية: 'في نوع من التعري التاريخي، كانوا يتخلصون من – يُجردون، إذا جاز التعبير – من طبقة فوق طبقة من ماضيهم العقائدي، لصالح 'الإنسحاب من المرحلة التاريخية' للشيوعية.

في سبعينيات القرن الماضي قيلَ أن شبح الشيوعية الأوروبية يُطارد أوروبا الغربية. وعلى السؤال حول ما هية الشيوعية الأوروبية – هل هي 'تقليدية' أم 'جاهزة الصنع' – كانت الإجابات تتضمن: أملاً جديداً لليسار، 'وفخاً للشيوعية القديمة'، و'الماركسية الحقيقية للمجتمع الأوروبي اليوم'. من الواضح، أن الظاهرة الآن في حاجة إلى الدراسة من حيثُ ما كانت عليه، وليس من حيث ما كان يمكن أن تكون عليه.ولكن على الرغم من مرور الزمن، لا يزال من الصعب التوصل إلى إجابة مقبولة عُموماً على هذا السؤال. وحتى التعريف المُرضي والكامل للشيوعية الأوروبية يَظَلُ مُثيراً للجدل. إن عدم تحديد هذه الظاهرة يعني أن العديد من التعريفات قد صِغت، كلٌ منها يُضيف شيئاً أو يُوضح نقطة؛ ولكن في النهاية، أثبتت جميعها أنها غير قادرة على إحتواء ظاهرة مُعقّدة للغاية. لقد كانت عبارة عن القليل من كلُ شيء ولاشيء ، كانت عِبارة عن إحساس وجدل، كانت عِبارة عن أمل وخيبة أمل.

وكما زعم عالم الإجتماع الأرجنتيني جوليو جوديو Julio Godio، فقد تَذبذب الناس بين النظر إلى الشيوعية الأوروبية بأعتبارها 'إستجابة لأزمة الماركسية' وتكتيك مكيافيلي لإرباك الخصم'. وكان رده أنها 'ليست هذه ولا تلك، أو رُبما، وفقاً لمنطق التاريخ، كلتيهما في نفس الوقت'.لقد تبين في نظر ماسيمو إل سالفادوري Massimo L. Salvadori المؤرخ البريطاني الإيطالي أن هذه الأسطورة كانت 'أسطورة أيديولوجية جديدة لايمكن ترجمتها إلى استراتيجية ملموسة'. ونتيجة لهذا فإن 'ربيع الشيوعية الأوروبية سرعان ما أفسح المجال لخريف سابق لأوانه ... وأنتهى الأمر بالإستنزاف والطريق المسدود'.

وفي الخِتام، أودُ أن أزعم أن الأهتمام المُتجدد الحالي بالشيوعية بأشكالها المُختلِفة يرجع إلى حقيقة مفادها أن القرن العشرين، على عكس العديد من التوقعات، لم يكن قرن الشيوعية، بل كان اختباراً مُستمراً وقاسياً هَدّدَ بقاءها ذاته. في بداية القرن، إقترحت وجهة نظر مُتفائلة إنها سترى النصر المحتوم لأيديولوجيات اليسار – في عددٌ من المُتغيّرات في جميع أنحاء العالم. ولكن مُنذُ عام 1989 أصبح من الواضح أن 'هذا الهدف أصبح في وقت لاحق من الزمن. والحقيقة أننا قللنا من شأن قدرة الرأسمالية على التكيّف مع الظروف الجديدة ... وبالغنا في تقدير السرعة التي قد تنتشر بِها الإشتراكية'.

وبحسب زبيجنيو بريجنيسكي دبلوماسي أمريكي، فقد أظهرت التجربة أن 'كلما كان المجتمع أكثر تقدماً، كُلما قلت أهمية حزبهُ الشيوعي. وهذه هي المُفاجأة المركزية في مواجهة الشيوعية للتاريخ. فبينما فشلت الشيوعية حيثُ توقعت النجاح، فإنها نجحت – ولكن فقط في مُمارسة السُلطة السياسية – حيثُ كانت الظروف المؤاتية لنجاحها سابقة لأوانها تاريخياً وفقاً للعقيدة'.

وفي هذا السيناريو، إنتهى الأمر بالشيوعية الأوروبية إلى أن تُصبح أملاً آخر في نجاح مُحتمل لنموذج بديل للرأسمالية، وهو مشروعٌ وهمي قصير إنتهى بهِ الأمر إلى تحقيق النبوءة القائلة: 'على الرغم من الضجيج الكبير الذي يصحبها، فإنهُ مُقدراً لها أن تعيش حياة قصيرة مثل حياة الفَرَاشة'.

■ لم تكن سنين باريس كلها أفراحاً ومسرّات

■ محطة باريس المحطة الأطول في سلسلة المدن التي عاش فيها درويش

لا أريد لخريفي الشعري أن ينتهي

محمـود درويش فـي بـــاريـس

محمد ديتو

كانت محطة باريس المحطة الأطول في سلسلة المدن التي عاش فيها درويش: حيفا (عشر سنوات)، القاهرة (سنتان)، بيروت (عشر سنوات)، باريس (أربعة عشرة سنة)، رام اللّه/عمّان (إثنا عشرة سنة). تنقلاته المستمرة جعلته يعيش في «أكثر من خمسة وعشرين بيتاً. لا بيت لي، ولا عنوان لي»، كما قال في إحدى رسائله إلى سميح القاسم.

بعد خروجه من بيروت مكنته «الصدمة العربية» من التحرر من أوهامه، وحسب تعبيره: «أصبحت ساخراً أسأل أسئلة عن الحياة مطلقة لا مجال فيها للأيديولوجية القومية».حين حطّ رحاله في باريس كان في مطلع الأربعين من عمره، شاعراً متمكناً من أدواته الفنية، واثقاً من وضوح رؤيته في الحياة، يتقدّ حماساً لممارسة إبداعه الشعري والفكري. ولكن باريس كانت أكثر من مجرد منفى، أو مكان للإقامة. باريس آنذاك كانت زمناً مختلفاً عن ما نعرفه عنها الآن. كان عقد الثمانينات هو عقد سيطرة اليسار الفرنسي ممثلاً بالحزب الإشتراكي الفرنسي على مقاليد الحكم برئاسة فرانسوا ميتيران. من ضمن ما وسم فترة حكمه آنذاك، بيئة الانفتاح الثقافي المميزة، ما دفع درويش للقول في إحدى مقابلاته بأن باريس تعتبر «أجمل مدينة في العالم. ولها من المزايا أنها تجمع أكبر عدد من المثقفين المنفيين في العالم. باريس احتضنتني، وأعطتني الكثير، أكثر اللغات التي ترجم إليها شعري هي الفرنسية.»

في إحدى مقابلاته التلفزيونية قارن درويش تطوّر مسيرته الشعرية بتعاقب الفصول الأربعة. ففي حين شبّه مراحل حيفا والقاهرة وبيروت بفصلي الصيف والربيع في شعره، فإن «باريس هي فصل الخريف في حياتي الشعرية «، حسب تعبيره، وأضاف: « باريس تُرغمك على النطق، ينهمر الشعر هناك كأوراق الخريف..لا أريد لهذا الخريف أن ينقضي، فهو فصل يلتقي فيه الشباب مع الحكمة، تلتقي فيه الطفولة مع التأمل الحكيم». في قصيدته «يحقّ لنا أن نحبّ الخريف»، يقول: «نحن، يحقّ لنا أن نحبّ نهايات هذا الخريف، وأن نسأله أفي الحقل متسع لخريف جديد...خريف ينكس أوراقه ذهباً ... ياليتنا عشبة مهملة لنشهد ما الفرق بين الفصول».

في باريس أصدر المجموعات الآتية: «ورد أقل» (1985)، «هي أغنية .. هي أغنية» (1986)، «أرى ما أريد» (1990)، «أحد عشر كوكباً» (1992)، «لماذا تركت الحصان وحيداً» (1995)، ونصف قصائد «سرير الغريبة» (1999)، بالإضافة إلى كتب نثرية: "في وصف حالتنا "(1986)، "ذاكرة للنسيان" (1987)، "الرسائل مع سميح القاسم" (1989)، "عابرون في كلام عابر" (1991).

شعر درويش، شعر موسيقي بامتياز، و يمكن تشبيه دواوين مرحلته الباريسية بالأعمال الموسيقية الكلاسيكية من منظور تنوّع أساليبها، فقصائد ديوان "ورد أقل" (حوالي خمسين قصيدة) تشبه قالب السوناتة

الى حد كبير. أجمل قصائد الحب كتبها في باريس. يقول درويش: "إن القدرة على الحب، شكل من أشكال المقاومة. إذا كتبتُ قصائد حب، فإنني أقاوم الظروف التي لا تسمح لي بكتابة قصائد الحب".

في القصائد الباريسية المبكرة يمكن تلمس مزاج درويش المتفائل والمحب للحياة. في قصيدة "ونحن نحبّ الحياة" سيصبح السطر الأول منها الأكثر شهرة لدى القراء: "ونحن نحّب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا/ ونرقص بين شهيدين نرفع مئذنة للبنفسج بينهما أو نخيلا". وفي قصيدته "سماء لبحر" يقول: "أفي الأرض غير السلام؟ أفي الناس غير المسرّة؟ إني أصالح نفسي/ أفي مثل هذا اليوم تموت عصافير فضية هل يموت أحد!! .. يحطّ الحمام على شارة العسكري، وتفلت عاشقة من فتاها لتأخذ قطعة شمس". الجميل أن عبارة "يحطّ الحمام" ستصبح قصيدة فيما بعد يقول فيها "يطير الحمام .يحطّ الحمام ..أعدي لي الأرض كي أستريح ..فإني أحبك حتى التعب ...صباحك فاكهة للأغاني ...وهذا المساء ذهب."

في باريس كتب قصيدته الشهيرة "على هذه الأرض": "على هذه الأرض ما يستحق الحياة: على هذه الأرض سيدة الأرض، أمّ البدايات أم النهايات. كانت تسمى فلسطين.صارت تسمى فلسطين."

في أواخر عام 1984، عقد درويش قرانه على حياة عصام الحيني (مترجمة مصرية تعمل باليونسكو في فيينا) وعاد إلى باريس. لم يعمر زواجه الثاني كثيراً، بل كان أقصر من زواجه الأول. في إحدى حواراته قال درويش عن زواجه الثاني وطلاقه: "لم نصب بأي جراح، انفصلنا بسلام...ولن أتزوج مرة أخرى. إنني مدمن وحدة." علاقته بالزواج تشبه علاقته بالتنظيم السياسي: ملتبسة، بدايتها شغف، ونهايتها فتور بدون عداوة.

لم تكن سنين باريس كلها أفراحاً ومسرات. في أواخر يناير 1984 داهم الموت صديقه الشاعر معين بسيسو فجأة في أحد فنادق لندن، ولم تكتشف وفاته إلا بعد يومين، لأنه كان يضع على باب غرفته عبارة «الرجاء عدم الإزعاج». شكّل ذلك الحدث صدمة نفسية لدرويش الذي ربطته بمعين صداقة قوية. في إحدى مقابلاته لاحقا قال درويش بأنه خاف من الطريقة التي توفى فيها بسيسو: «أخشى هذه اللافتة! كلما نزلت في فندق لا أضع هذه الاشارة على الباب. ولا أخفيك أيضاً أنني لا أضع مفتاح البيت في القفل عندما أنام.». في مارس 1984، وبعد ثلاثة شهور من وفاة بسيسو، أصيب درويش بنوبة قلبية حادة في إحدى فنادق فيينا، وأجريت له أول عملية قلب مفتوح لانقاذ حياته، وقد صادف إجراؤه لعملية القلب المفتوح يوم عيد ميلاده الثالث والأربعين الذي احتفل فيه في المستشفى. بعدها بيومين زاره فجأة الشاعر سميح القاسم وجلس بقرب سريره. كان تلك الزيارة اللقاء الأول بينهما بعد خروج درويش من فلسطين والقطيعة والخصومة بينهما (مغادرة درويش إلى القاهرة 1971، ومعارضة سميح لذلك). تركتْ تلك الزيارة أثراً عميقاً في نفس درويش، وكتب لاحقاً قصيدة بعنوان «أسميك نرجسة حول قلبي – إلى سميح القاسم»، يقول فيها: «إذا ضلّت الروح خارجها. ضلّت روح داخلها. أسميك نرجسة حول قلبي...لنا الذكريات، وللغزو ترجمة الذكريات إلى

> قرر درويش العودة عام ١٩٩٦ إلى رام الله، منهياً بذلك حقبة باريس الذهبية

أسلحة ومستوطنات....أما زلت تؤمن أن القصائد أقوى من الطائرات؟ إذن، كيف لم يستطع إمرؤ القيس فينا مواجهة المذبحة؟ سؤالي غلط لأنّ جروحي صحيحة ونطقي صحيح، وحبري صحيح، وروحي فضيحة...أعانق فيك تفاصيل عمر توقف في لحظة لا تشيخ...سنكتب من غير قافية أو وطن لأنّ الكتابة تثبت أني أحبك، وأنّ لأمي حقاً بقلبك، ويديك يداي، وقلبي قلبك!». لاحقاً سيتبادل الصديقان الرسائل فيما بينهما ضمن مشروع أدبي نادر وجميل، تكفلت مجلة «اليوم السابع» الصادرة في باريس بنشرها على صفحاتها ولاحقاً صدرت في كتابٍ منفصل يحتوي على الرسائل التسع والثلاثين بينهما.

عام 1986 شهد خروج الفلسطينيين من تونس بعد خلافات بين عرفات وبورقيبة وتفكك منظمة التحرير إلى اليمن والجزائر والسودان، وترافق ذلك مع زيادة في حدة الخلافات الفلسطينية الداخلية. وفي ظل حالة الإحباط هذه اندلعت في ديسمبر 1987 انتفاضة الحجارة الأولى من مخيم جباليا في غزّة. وسرعان ما امتدت الانتفاضة لتشمل كل مدن وبلدات الضفة الغربية وقطاع غزة. بعدها بأسابيع نشر درويش قصيدته الشهيرة «عابرون في كلام عابر». شرح درويش دوافع كتابته للقصيدة: «كتبتها عندما شاهدتُ على التلفزيون الفرنسي صوراً لجنود إسرائيليين وهم يحطمون عظام الفلسطينيين. كتبتها في جلسة واحدة.... أهديت هذا النص ليكون حجراً في يد طفل يرميه في وجه الجندي الإسرائيلي.» نقرأ في القصيدة: «أيّها المارون بين الكلمات العابرة، احملوا أسمائكم، وانصرفوا. واسحبوا ساعاتكم من وقتنا وإنصرفوا!». أشعلت قصيدة درويش غضب كل الإسرائيليين بكافة تياراتهم من أقصى اليمين حتى أقصى اليسار. وكانت موضوعاً ساخناً في جلسات الكنيست وندد بها رئيس الوزراء الصهيوني إسحق شامير. إجتاحت إسرائيل حمى «هستيريا القصيدة»، حسب وصف درويش، وإتهمته الصحف هناك بأنه «يدعو إلى طرد اليهود من البحر الى نهر الأردن.» تسارعت الأحداث في السنتين الأخيرتين من الثمانينات وخفت وهج الإنتفاضة، ليبدأ بعدها عقد التسعينات بسلسلة أحداث غيّرت موازين القوى عربياً وعالمياً، بدأ من غزو صدام للكويت (إختار درويش الصمت ولم يعبر عن موقف واضح تجاه الغزو)، ثم انهيار الاتحاد السوفيتي وتزامن ذلك مع بدء مفاوضات مدريد ولاحقا اتفاق أوسلو، وما نتج عنه من سلام ناقص، عارضه درويش على مضض.

عام 1996 قرر درويش العودة إلى رام الله، منهياً بذلك حقبة باريس الذهبية، وقضى الاثني عشرة سنة المتبقية من عمره حتى وفاته في 2008 متنقلاً بين عمّان ورام الله وباريس موجهاً كل طاقاته لابداعه الشعري، على الرغم من تعاظم خيباته من مآلات المسار السياسي للقضية الفلسطينية. تباينت الآراء في تقييم شعره ما بعد باريس، فهناك من رأى فيه غموض في المعنى، على الرغم من جماليته الشعرية، وهناك من إعتبره بمثابة القمة في كل ابداعه الشعري. ولكن لن يفيدنا هذا الجدل بأي شئ، إذ «لكلّ منا محمود درويشه»، كما قال صديقه شربل داغر ذات مرة . فزمنه كان زمننا، ونحن عندما نتذكر محمود درويش، فإننا نستحضر ملامح من سيرتنا الذاتية الجماعية، التي كانت قصائد درويش جزءاً هاماً منها. وبهذا المعنى أيضاً، ربما لن نجد أفضل نصيحة لفهم مكانته كمثقف إنساني، من كلمات قالها هو شخصيّاً، حين زار في سنواته الأخيرة مدرسته الثانوية في كفر ياسين وألقى فيها خطاباً هاماً نشره لاحقاً بعنوان «البيت والطريق»: «هل مرّ أربعون عامًا حقًا دون أن أنتبه إلى ما فعل بي الزمن؟، هل كنّا جديرين بأحلامنا الأولى، وأوفياء لأرضنا الأولى؟ أما أنا، فلعلي لا أستطيع الإجابة، ولكني أحيل الأسئلة كلها إلى هويتي الشخصية الوحيدة؛ قصيدتي. أما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .. وفي الشعر."

لا يختلـــف الطيـــن

سيـاقات العنصـريـة بين كتـاب ومسلسـل

تلمع كلمة «العنصرية» على سطح كتاب تتوسط غلافه مجاميع لأشخاص يبدو انتماؤهم إلى العرق الأسود. اختارت الباحثة القطرية الدكتورة نورة محمد فرج، دخول متاهة سبقها إليها آخرون، ولكن بنهج مختلف، ورؤية تميل إلى دراسة نفس الفئة عبر السرديات التاريخية، أو الوثائق التي تصف وتبرر وتحلل هذا الوجود، ثم يأتي كتابها (العنصرية في الخليج.. إشكالية السواد: التاريخ–الثقافة الشعبية–الرواية)، ليستغيض بالمقاربة، وينبّه قارئه –بعد الانتهاء منه– للسؤال الوجودي: لِمَ الطين غير الطين؟

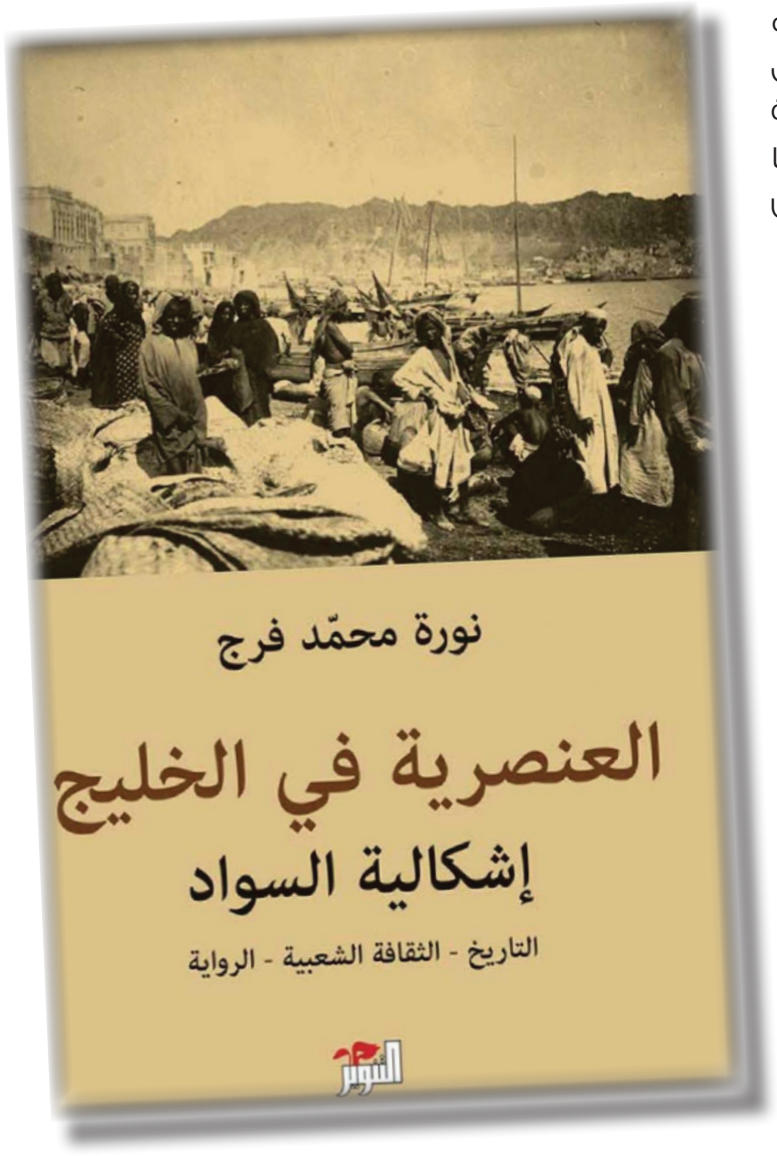

د. زهراء المنصور

اختارت فرج مصطلح «السود» وأشارت على فراغه من غير دلالة إيجابية أو سلبية؛ أي درجة صفر دلاليّاً، وأهميته تكمن في فحصه تاريخ العبودية في الخليج، في صورته الفاقعة خليجيّاً، والنبش بوضوح من خلال ممارسة الاستعباد عبر ما ذكرته المؤلفة؛ وبذلك ربما يتسنّى فهم العنصرية التي تعانيها المجتمعات الخليجية في قضايا أخرى، إن توصّلنا إلى أن هذه «العنصرية ليست حالة طارئة»، وهذه إشارة مهمة لدراسة الامتداد المتصور لوضع السود. ومن أجل هذا، حرص الكتاب على استعراض منجزات تخص هذه الفئة حصلت في القرن العشرين؛ مثل فوز «توني موريسون» بجائزة نوبل في العام 1994، وشكلت موضوعات اللون، والعبودية، والعنصرية محاور أساسية في رواياتها المتّسمة بالبطولة الحزينة والسوداوية، خاصةً كتابها الموسوم بـ»اللهو في العتمة» التي تتبّع فيه حضور السود، وكيف وضع في معظم الأوقات لإعلاء شخصية الأبيض، أو زخرفته، دون أن يكون له وجود فاعل، وهذا موضوع حي لا بد من مقاطعته مع موضوعات الدراما، التي حتى لو تجرأت على استعراض مشكلة فعلية موجودة، فإن التعرّض يكون دون عمق كاف لمسألة اللون، بل قد تكون إشارة تلميحية لا تُقال صريحة، وفي أكثر الأحيان تكون مصدر سخرية. ويغلب على معظم الدراما تصديها للمواقف الوقتية، واستعراض المعاناة في بعض الأحيان، دون لمس الجذور الحقيقية للمشكلة.

وطرح الكتاب الجرئ والمهم، أسئلة مهمة وجوهرية في وضع السود بالمجتمعات الخليجية؛ من أين جاء حرج تناول هذه الموضوعات في الخليج؟ هل هو حرج ينبع من ذات الشعوب الخليجية في تناول هذا الموضوع علانية، والقلق من وصم ذاتها بالعار؟ أم هو سياسة غير معلنة من جانب الدولة؛ وجزء من العمل ضد صعود أي إشارة على فتنة داخلية؟ أم أن غياب مثل هذا الموضوع هو امتداد لعنصرية مثقفة تجاه هذه الفئة؟ أم هي غير مرئية بالنسبة للمثقفين؟ أم أن الأمر يتعلق برغبة العقل الجمعي الباطني في نسيان هذا التاريخ؟ أم لأنه هامشي غير مكترث به؟ وهذا ما يجب مناقشته في الكتابات السردية أو الدراما، والتي تلقى الإقبال من قبل مختلف الفئات المتلقية، دوناً عن الكتب العلمية أو الأبحاث المتعلقة بذات الموضوع.

واتجهت المؤلفة الجادة للتعريف بالعنصرية وبجذورها، ضد السود في الثقافة العربية، وصولاً إلى واقع الثقافة اليوم، عن كونها: «الإيمان أن قيمة الآخر قيمة متدنية»، وهكذا تنبني على مستويين: داخلي عبر الإيمان والشعور، وفعلي من خلال الممارسة. ويمكن حصر الممارسات العنصرية بالآتي: الرمز والترميز، الإيماءة، اللفظ، الفعل– العنف/ غير المباشرة، والمقصود بـ(غير المباشرة) مثالها اعتماد قوانين (المعلنة أو غير المعلنة) ضد فئة السود تحديداً، عبر سلب الحقوق، وهذه ممارسة قائمة في الدول الحديثة لا يمكن إغفالها أو إغفال دورها في تهميش فئات محددة كالسود أو غيرهم، فيما يشكل ما يشبه قانوناً طبقياً اجتماعياً؛ ولذا كانت هذه الممارسات الطبقية خفية، بينما تتخذ الممارسات الأخرى سمة ظاهرة. وإن كل محدد من محددات الهوية تقابله عنصرية، سواء كان هذا المحدد العرق، الجنسية، الدين المذهب أم اللون.( )

وبرغم كل هذا، تعترف فرج بأن تناول الرواية لهذا الموضوع لا يعني بالضرورة مناقشته على نحو رسمي أو معلن؛ إذ هو موضوع يسبب حرجاً اجتماعيّاً! ثم تتساءل: كيف يمكن لما اعتبر جزءاً من الحياة الممارسة طوال ما يزيد على 1400 سنة، أن يغدو موضوعاً محرجاً؟ وفي ما يخص الموضوعات في العصر الحديث (المعاصر)؛

وفي محيط الخليج وعلى صعيد الدراما؛ لم تلامس هذه القضية بشكل رئيسي ومباشر كما فعل مسلسل «ملح وسمرة» في إبريل 2023، الذي تعرض لمسألة اللون وتبعاته عبر أسرة «هند» الشخصية المحورية مع زوجها وابناءها والأحفاد، كما تناول قضايا أخرى متفرعة مثل الاستقرار الأسري، والتحرش الجنسي بالأطفال، والتعامل مع الاحتياجات الخاصة وغيرها، لكن يظل اللون هو المتسيّد حتى في عنوان المسلسل الذي يوصف به الشخص الجذاب «المملوح» كما تقال بالدارجة في الخليج.

تمتهن البطلة مهنة التمريض، وزوجها مدير المدرسة الحكومية، وحتى العمة والأبناء في وظائف متفرقة عادية، حيث لا ثراء فاحش غير منطقي، ولا شركات يتم التنازع عليها تؤدي إلى أحداث ميلودرامية من خيانة وسرقة وتآمر. ونتيجة لهذا البناء القريب من الواقع، نسج المؤلف حمد الرومي الفعل وردود الفعل بشكل قريب أيضاً؛ كالغضب والتهور والانهزام والتردد أو حتى الاستسلام، ولا توجد شخصيات مطلقة في الخير أو في الشر، وهذه جمالية كبيرة، لو علم بها الكتاب والمؤلفون الذين لا يقيسون مدى تأثير أعمالهم على مجتمعاتهم وتقولب سلوك المشاهدين بحسب ما يرون حتى في عقلهم اللا وعي، وهي فرصة أدعى لاختيار حبكات مناسبة تساهم في رتق ما تفعله كيانات ومنصات أخرى.

واللون هو بطل القصة التي تبنى على تقييم شخصياته في تعاملاتهم مع الآخرين، لذلك كان التوضيح منذ الحلقات الأولى ذات الإيقاع السلس الممتع في موقف انفعل فيه الابن الذي دعا عائلته لحضور عرض مسرحي، واجتمعوا على مقاعد المتفرجين ممنّين أنفسهم بفرجة لطيفة معاً، لكن مع بدء العرض ظهر التنمر الأول -والذي صار معتاداً في عروض خليجية كثيرة-، بشكل فج وقبيح، أدى هذا إلى صعود الابن لخشبة المسرح للتهجم على الممثل المتنمر، الأمر الذي يبدو غير مألوف، لكنه يجب أن يكون ويواجه بحزم، لعل القائمين عليه يعون أن سيل التنمر هذا يجب ألا يقتن فقط، بل يتوقف؛ لأن هناك أنواعاً كثيرة من الكوميديا التي تستقطب جمهوراً للمسرح، دون المساس بذات مستضعفة بلا ذنب.

ومع التقدير الكبير للفنانة هدى حسين،

التي بلغت من النضج الفني في مسيرتها ما يخولها لانتقاء مواضيع هامة ومنوعة، تتناسب وخبرتها في المسرح والدراما التلفزيونية، لكن الأمر قد يحدث بعض الخلل قليلاً -بين الصورة والقضية-. فملامحها لا تقارب الملامح الإفريقية المعنية باللون، حتى مع تكثيف المكياج أو تجعيد الشعر، حتى مع من اختلطت ألوانهم بالتزاوج؛ في ذات الوقت الذي يمكن أن يطرح سؤال حول من بإمكانه أن يأخذ دورها من الفنانات اللاتي يعانين بالفعل؟ وهل يملكن الجرأة على التصدي لهذا الدور الذي يحتاج رصيدا من القبول وتاريخا يكفي لتصديق هذا التجسيد؟

ولكي يتم فهم مصدر التنمر، كان لا بد من العودة في كتابة الدراما لمزيد من البحث، لتوضيحها في الحدث من خلال الممثلين، من أجل المكاشفة التي لا تتطلب إلا تصديراً لأحداث تاريخية حصلت دون أن يتحمل أحد من أصحاب اللون جريرة لا تخصه، كما الجزء الخاص في الكتاب بـ»الذين أصبحوا منا» الذي يشرح عن مرور السود بمستويات مختلفة من حيث التصور والممارسة؛ فقبل ممارسة العبودية، كان الأسود آخر ما دام موجوداً في أفريقيا، وخلال سنوات العبودية التي تمثل الطور الأطول، وصار الأسود وسط شعوب الخليج باعتباره عبداً؛ أي في مرتبة أقل، وإن أصبح حراً؛ فإنه ما زال عبداً سابقاً؛ أي يحمل تاريخه الشخصي، ولا يرقى لمرتبة الأحرار الذين ولدوا أحراراً. وبعد إلغاء الرق، صار مواطناً خليجيّاً يحمل هوية البلد الذي يعيش فيه وينتمي له، وهذا يشكل انتقالاً من كونه من فئة دنيا اجتماعيّاً، إلى كونه مواطناً له حقوقه وعليه واجبات. لكن وبرغم هذا التغيير الإيجابي الجيد الذي حصل، تبرز مسألة «الآخر» في سياق اجتماعي، وهو الزواج، الذي تشهد النماذج الموجودة صعوبة تقارب الاستحالة، من زواج الأبيض والأسود بشكل اعتيادي، وهذه لا تعد محاسبة للون البشرة المختلف وحسب، بل إنه حساب لتاريخ يرى في الأصالة وجود الأجداد في الأرض نفسها، التي يأتي الأحفاد فيحاكمون غيرهم على أنهم المستجدون أو المختلفون.( )

على مستوى الطرح أيضاً في «ملح وسمرة»، وبرغم براعة الكتابة التي أفردت لكل شخصية عمقاً وطريقة تفكير أضافت مخزوناً جيداً على مستوى الاختلاف حتى بين أبناء البيت الأسرة، حول نظرتهم لأنفسهم، ونظرة الآخرين لهم، لكن تبقى بعض المبالغات في الاستسلام للظلم البين، وأيضاً بعض الصبغة الحادة على مستوى شبكة العلاقات. ويحسب لهذه الدراما جمعها لممثلين لهم حضورهم الدرامي، لمناقشة قضية هامة جداً غير مفتعلة ومتناولة في الحياة اليومية، وهذه إحدى غايات الدراما، لولا الحسابات الإنتاجية التي تفرض وجود ثلاثين حلقة تحمل -بطبيعة الحال- تمطيطاً لا مبرر له في الأحداث.

وبين المسلسل الذي نال اعجاب كثيرين، وهذا الكتاب الذي سبقه كتب أخرى -وبعض الروايات- حول ذات القضية، التي أشارت بشكل معمق إلى تاريخ ومعاناة السود في الأوقات المختلفة، والتي استغرقت أعمار الكثير منهم، وذاكرة الأجيال التي أتت بعدهم، حتى وإن لم تدرك كل التفاصيل التي تعرّض لها الأجداد، لكنهم يحملون الشاهد الثابت الوحيد على استمرار وضعهم، وسواء كان معاناة ظلم أم هوية، أو وجوده في دواخلهم نتيجة أن الأجيال تسرّب لبعضها تاريخها الشفوي، أم أنه لا وجود لكل ما ذكر، وكل هذا محض تصورات يبنيها -من بعد الوثائق والدراسات- الفنانون والكتاب ليصيغوا مادة فنية قوامها معاناة فترة زمنية؛ فإنها تمثل إضافة للمكتبة العربية والتلفزيونية أولاً في إضاءة موضوع يقع تحت طائلة المحاذير عالية الخطورة، تمت معالجة المشكلة سطحياً، لكن لا زال الأذى المبطن في المفهوم الشعبي والمجتمعي المتمثل في عدم إتمام الزيجات، أو الحكم المسبق، أو انخفاض التقدير وغيرها، وهذا لا يشمل الأسود/ العبد؛ بل يشمل كل من يمكن أن يطاله التهميش في مجتمعه، ويُنظر له على أساس أنه الآخر، بينما الطين هو الطين لا يختلف أبدا.

---

* فرج، نورة محمد، العنصرية في الخليج: إشكالية السواد، التاريخ، الثقافة الشعبية، الرواية، دار التنوير، الطبعة الأولى، 2024م، ص19.

* المرجع السابق نفسه، ص22.

أدب السجون.. انتقامُ الكاتب من جلّاده

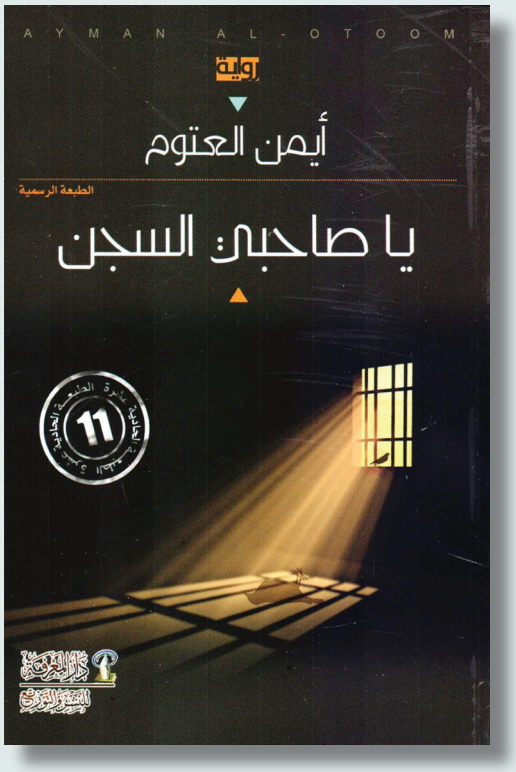

تأكّدت عندي – وأنا أتابع سقوط نظام الأسد في سوريا قبل أسابيع– فكرة وردت في إحدى طبعات رواية "شرق المتوسط" حيث كتب عبد الرحمن منيف تصديرا أشبه ببيان سياسي جاء في خاتمته هذه النبوءة: "الرسالة الصغيرة التي أرادتها "شرق المتوسط" أن يكون على هذه الأرض شعب حر، لأنَّ في حال وجود الحرية يمكن أن ينام الحاكم والمحكوم ملء الجفون. أما إذا كان الحاكم وحده حرا، فقد يجد نفسه من افترض أنه مالك القوة والحرية أكثر الناس ضعفاً وعبودية، ولن يفيد الندم إن جاء متأخراً". وتذكرت ومشاهد السقوط تتعاقب أمام عينيّ من القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي، سيلَ الكتب والروايات والمذكرات والأفلام الوثائقية التي كُتبت عما كان يجري داخل سوريا، والتي لخصها الشاعر السوري المعتقل بدوره فرج بيرقدار بقوله: "سيرشحنا المستقبل كأكبر تراث عالمي في أدب السجون".

د.بروين حبيب

كما أسفت لارتباط هذه الوحشية والإجرام غير المسبوق بأسماء مدن لا تدل سوى على المحبة والحضارة، فأشهر سجنين في سوريا واللذين خرجت منهما آلاف القصص المروّعة ينسبان إلى مدينتين لا يزال عبق التاريخ بهما غضًا طريًا، فمدينة "تدمر" من أقدم مدن العالم التاريخية، وقد أدرجتها "اليونسكو" في لائحة التراث العالمي، دون أن ننسى أن اسمها اقترن باسم الأميرة العربية الملكة زنوبيا التي حكمتها، وفي هذه المدينة من آثار الحضارات التي مرت بها الشيء الكثير. كما أن صيدنايا لا تقلّ عن تدمر قيمة تاريخية ولا تراثية، فدير سيدة صيدنايا يأتي في المرتبة الثانية بعد كنيسة القيامة بالنسبة للمسيحيين حول العالم وهو يتبع تاريخيا وما يزال لبطركية الروم الأرثوذوكس، وقد بقي إلى الآن محجّة لطالبي السلام الروحي والمحبة، رغم أنه بجوار مسلخ بشري قُتل فيه آلاف المساجين. وأثمّن ما اقترحه الشاعر السوري جميل داري من إطلاق أسماء الطغاة على السجون لا أسماء المدن حتى ترتبط ارتباطا عضويا بمنشئيها. وما أجدر سقوط سجن صيدنايا أن يأتمَّ بأخيه الكبير «سجن الباستيل» الباريسي الذي تحوّل من رمز للقمع الملكي إلى رمز للثورة الفرنسية، بل إن يوم سقوطه في 14 يوليو 1789 أقرّ بعد قرابة القرن عيدا وطنيا في فرنسا إلى يومنا هذا وهو أيضا عيد اتحاد الفرنسيين ومصالحتهم. في خطوة قد تمحو بعض الفظائع التي جرت في الباستيل وأحفاده من أبو غريب في العراق إلى جوانتانامو في خليج كوبا وسجون أخرى على امتداد العالم كله وثقتْ مآسيها وأسرارها أقلامٌ شجاعة قررت أن تتمرد على تكميم أفواهها.

نستحضر قبل تناول أدب السجون في سوريا أهم رواية عالمية عما جرى وراء عالم السدود والقيود كما سمى عباس محمود العقاد السجن، وأعني كتاب ألكسندر سولجينستين المرعب «أرخبيل الغولاغ» الذي وثّق فيه

جرائم النظام الشمولي في معسكرات الاعتقال في الاتحاد السوفييتي من خلال شهادات مئات السجناء، وقد حصل سولجينستين على جائزة نوبل على رواية في أدب السجون أيضا، ولكنها ليست كتابه «أرخبيل الغولاغ» بل عن رواية تحكي سيرة «يوم من حياة إيفان دينيسوفيتش" في معتقلات سيبيريا الرهيبة. والتجارب في السجن تتشابه حدّ التطابق سواء قرأناها في رواية «تلك العتمة الباهرة» للطاهر بن جلون أو «العسكري الأسود» ليوسف إدريس أو رائعة عبد الرحمن منيف والبداية الفعلية لأدب السجون «شرق المتوسط»، والتي يَذكرُ فيها لازمة تكررت في أغلب كتابات أدب السجون، تؤكد أن الواقع أكبر من الخيال وأن ما جرى حقيقة لا يمكن نقله على الورق، يقول منيف "كنت رقيباً على نفسي أثناء كتابة «شرق المتوسط»، أي لم أقلْ كل ما يجب أن يقال حول عالَم السجن السّياسي، وما يتعرّض له السّجين من قسوة ومهانة.. مما جعل الرواية توحي ولا تحكي، تشير ولا تتكلم".

وبالعودة إلى ما كتبه السوريون – وسيكتبون كثيرا بعد أن زال حاجز الخوف وألقت السجون أثقالها – نستذكر أشهر رواية عن المعتقلات السورية وما جرى فيها، فمصطفى خليفة طاف بروايته "القوقعة: يوميات متلصص" عدة سنوات على دور نشر عربية لم يجد فيها من يجرأ على نشر روايته إلى أن تبنتها بشجاعة سنة 2008 دار الآداب البيروتية ونشرتها، ورأينا من خلالها عالما مخيفا يكفي أن نقرأ سطرين مما جاء على ظهر الرواية لنعلم أي جحيم سندخله حين نتمّها، تقول الأسطر التعريفية بأنها «رواية تسرد يوميّات شاب أُلقي القبضُ عليه لدى وصوله إلى مطار بلده عائدًا إليه من فرنسا، وأمضى اثنتي عشرة سنة في السجن دون أن يعرف التهمةَ الموجّهة إليه". هي ببساطة حكاية شاب درس الإخراج السينمائي في فرنسا ثم قرر العودة إلى وطنه فاعتقل في المطار فقضى ثلاثة عشرة سنة من عمره في سجن تدمر الرهيب، والمفارقة أن التهمة الموجهة إليه أنه ينتمي إلى تنظيم إسلامي محظور بالرغم من أنه مسيحي، وحين يعترف تحت التعذيب أنه ملحد يواجه مشكلة أخرى مع بقية السجناء، فينعزل في زاوية من السجن ينظر متلصصا من ثقب فيها إلى ساحة السجن ويراقب تصرفات السجناء وهذا تفسير العنوان الفرعي للرواية «يوميات متلصص». تحمل رواية القوقعة بعضا من سيرة الكاتب الشخصية فقد اعتقل هو أيضا، ولكن عمودها الفقري يقوم على قصة حقيقية لصديق له. وتصلح الرواية أن تكون دليلا تطبيقيا للسجانين في الإيذاء والتحطيم النفسي مع قاموس كامل من الشتائم والبذاءات التي يسمعها المسجونون صباح مساء. ورواية القوقعة أضاءت باكرا قبل الثورة السورية ببضع سنوات عما كان يجري في أقبية سجون النظام السابق، فتُرجمت إلى أكثر من عشر لغات، وتبعتها روايات أخرى وإن كان الجانب التسجيلي غالبا عليها، فلم تكتب كفن روائي، بل كتبت بهاجس التوثيق وتسجيل ما جرى فعلا، مثل كتاب هبة الدباغ "خمس دقائق وحسب.. تسع سنوات في سجون سورية" وهي أول رواية من أدب السجون كتبت بقلم امرأة، وإن كانت قد سبقتها نصوص كتبتها من تعرضن لتجربة السجن في العالم العربي مثل كتاب نوال السعداوي «مذكراتي في سجن النساء» أو مليكة أوفقير في كتابها "السجينة".

تبدأ حكاية هبة الدباغ مثل كل الحكايات المشابهة حين يجيئها زوار الفجر، ويخبرونها أن ترافقهم لخمس دقائق فقط لاستجواب سريع، وتمتد تلك الدقائق الخمس إلى تسع سنوات كاملة، ولا ذنب اقترفته سوى تمكّن أخيها من الهروب من قبضة النظام بعد أن كان متهما بالانتماء إلى تنظيم إسلامي، فأُخذت هبة رهينة بدله، وتروي معاناتها في سجن المزة العسكري ومعاناتها بعد الخروج من السجن حين وجدت عائلتها قد أبيدت أثناء أحداث حماة في الثمانينيات.

وتتناسل حكايات السجون والمعتقلين السياسيين في سوريا فيروي لنا الروائي والشاعر الأردني أيمن العتوم حكاية صديقه الطبيب إياد سعد الذي قضى في سجن تدمر – مرة أخرى يحضر هذا المعتقل الرهيب – 17 عاما كاملة لم ير فيها أحدا من أهله سوى أخيه الأصغر يعدم أمامه، تمزق جسم هذا السجين كل ما يخطر بالبال وما لا يخطر من وسائل التعذيب، وتحطم روحه ابنة صغيرة تركها وهي لم تبلغ سنتها الأولى. وللتنويه لأيمن العتوم روايتان أيضا من أدب السجون أولاهما "يا صاحبي السجن" عن تجربته الشخصية في السجون الثلاثة التي تنقل فيها ببلده، ورواية أخرى موجعة بعنوان "طريق جهنم" عن علي العكرمي سجين ليبي قضى ثلاثين سنة في سجن بو سليم بليبيا، فليس بلد أحسن من بلد.

ونلاحظ أن الكاتب سواء كان يكتب عن تجربته الشخصية أو تجربة غيره يميل إلى الجانب التسجيلي أكثر من الخيال، فالمخيّلة المريضة للسجانين تجاوزت بمراحل الجانب التخييلي عند الروائيين، وبعد أن كتب هؤلاء الجلادون/الوحوش نصوصهم بالكهرباء ومختلف آلات التعذيب على أجساد المعتقلين آن الأوان ليكتب المعذبون في الأرض نصوصهم رواية وشعرا وسيَرا ذاتية لتعلّم الأجيال القادمة معاناة آبائهم، وتتعلم أيضا التفريق بين الشرير والصالح، وهي الحكمة التي خرج بها صاحب "أرخبيل الغولاغ من سجنه الطويل: «لقد مُنِحتُ الفرصة لأحمل معي من سنوات سجني، على ظهري المنحني الذي كاد أن ينكسر تحت ثقله، هذه التجربة الأساسية؛ كيف يصبح الإنسان شريرًا وكيف يصبح صالحًا».

وقفة

مجد يعقوب

سيدرا

إنها الصبيّة الشامخة بكامل كبرياءها، الفاهمة والعارفة لما تريد وما تكتب. إنها ابنة المعتقل السياسي والمغيب قسراً علي الشهابي. الشخصية المبدئية الوطنية النضالية، مدرس اللغة الانجليزية في مدارس مخيم اليرموك، والذي كان يُختصر وصفه بجملة واحدة (علي سعيد الشهابي ثورة كاملة). له تاريخ طويل في سجون النظام البائد في عهد الأب والابن، منذ الاعتقال الأول في 1974، حتى الاعتقال الأخير 2006 والذي لم يعد بعده.

وبعد سقوط النظام المتوحش وفتح السجون وتنظيفها، تتابع سيدرا ملف المغيبين قسرياً بعين ابنة غاب عنها أباها وهي في سني الطفولة الأولى، ومشاعرالشابة الصابرة الصامدة التي تنتظره، أو أي شيء يخبرها عنه.

تكتب سيدرا على صفحتها في الفيس بوك ما لا يمكن استداركه، أو الشعور التام بما تحمل أو تكنُّ هذه الفتاة من تصميم وإرادة كبيرة للسعي الدؤوب وراء الحقيقة، حقيقة ما حصل بأبيها. تكتب:

(بخصوص الدعوة العامة للحداد اللي عم تنتشر . لا „نُطبب جراحنا"، ولا „نعزّي بعض" قبل كشف المصير. بفهم الحداد كتصالح مع الفقد، الحداد بظل كمّ الغموض الموجود مو ممكن. فَي ناس احتاجت وثائق عالأقل، بتحمل معلومات عشان تقدر تعلن حداد، أيّ اشي رمزي، لتقدر تعمل حداد رمزي.. وحتى مع وثائق صعب، فما بالك بدون، ومع ألف سؤال مفتوح، وكمية غضب هائلة. عالأقل مئات الآلاف عايشين بحالة مستمرة من إنعدام اليقين، لا تقلّ مرارة عن السنين السابقة، بل بالعكس. إذا ما انوجدت أي شروط للتصالح مع الفقد، معناها أننا بعاد أشواط عن الحِداد. أي حداد عام رح يكون حداد ناقص، حداد غير لائق بالمَغيبين، ويوم للسخط، مخصص فقط للشعور المكثّف بالمرارة من شكل التعامل مع هاد الملف، مو أكتر. مع الأسف لليوم مافي قدرة لا عالأمل ولا عالحداد. ولا حداد قبل كشف المصير).

سيدرا واحدة من الآلاف الذين غُيب عنهم ذووهم قسراً، دون إعطاء أي معلومة تدل عليهم. سيدرا كما الآلاف تدافع بكل ما تملك من عاطفة وشوق وإرادة وفكر ووعي واهتمام ومتابعة لمجريات الأحداث حتى كشف الحقيقة كاملة.

فائزة مصطفى

«الريغيتيون» .. موسيقى التمرد اللاتينية التي اجتاحت العالم

توقفت إشارة المرور فعبثتُ بمشغل الموسيقى ليصدح منه نغم أصبح شاغل الدنيا في السنوات الأخيرة: «هي تحب الغازولين... أعطني المزيد من الغازولين».

هذا هو المقطع الوحيد الذي كان يترنم به المغني من كلمات الأغنية الأصلية باللغة الإسبانية، فالأغنية كانت باللغة التركية ولم أفهم بقية مقاطعها، لكني أفهم تماماً هذا الرتم الثائر في موسيقاها وحرارة لحنها.. إنه «الريغيتيون» أسطورة موسيقى عصرنا الحالي.

■ حملت أغنية الريغيتيون بجانب ثورتها وجرأتها وصفاً تفصيلياً لشوارع بورت ريكو وأشهر مقاهيها وطرقات السفر فيها

تتفجر كلمات الأغنية التركية ويتردد المقطع الإسباني الوحيد فيها: «هي تحب الغازولين... أعطيني المزيد من الغازولين»، فأتساءل هل بقيت هناك لغة من اللغات الحية في الأرض لم تترجم إليها هذه الأغنية ولم تصدح بها موسيقى الريغيتيون؟

ولد «الريغيتيون» في دولة بنما في أواخر ثمانينات القرن الماضي مع الإجتياح الأمريكي لقناة بنما التي كان يعمل في محيطها المهاجرون من جمهورية جامايكا في البيع والشراء وتقديم الخدمات لطواقم السفن البحرية في رحلة عبورها للقناة.

بعد الإجتياح الأمريكي والحرب التي دارت في تلك الفترة، فقد هؤلاء المهاجرون محلاتهم التجارية وعانت أعمالهم من الركود في الخدمات البحرية، فغادروا محيط القناة الى أعماق المدن البنامية، حيث أصبحوا يعانون من الفقر والبطالة وقلة الحيلة أمام متطلبات الحياة اليومية فكتبوا معاناتهم في أغنيات ثم سجلوها في أشرطة كاسيت غير رسمية تمّ تنسيق موسيقاها وإيقاعها بصورة إرتجالية في الأحياء العشوائية التي تشكلت من وجودهم الطارئ في أطراف المدن البنامية. باع المهاجرون هذه الأشرطة الى سائقي باصات النقل العام بأثمان زهيدة بالكاد تكفي لشراء خبز اليوم، لكن معاناتهم المغناة سرعان ما إنتشرت في كل أنحاء بنما وهي تصدح من مسجلات باصات النقل العام ذات الصوت الصارخ تخبر عنهم وعن معاناتهم و مع معاناتهم ولدت موسيقى «الريغيتيون» في دولة بنما.

جاءت تسمية الرغيتيون من لفظ راغاتيار وهي كلمة عامية تعني «عدّ أو حساب» على الأرجح لأن الإيقاع فيها يتصاعد كمن يعد «1..2..3» بشكل صاخب سريع في المقاطع الأولى ثم تهدأ وتيرته في

المقاطع التالية فتبدو أشبه بالعد التنازلي «3..2..1» ويست، وإنتقل الريغيتيون في أوائل التسعينيات الى «بورتريكو» الجزيرة التي يطلق عليها جيرانها إسم «جزيرة السحر»، ومنها إنطلقت موسيقاه واجتاحت الدنيا.

لم يكن صدفة أن تجد موسيقى الريغيتيون أرضاً خصبة تزهر فيها في بورتريكو، فهذه الجزيرة ما تزال حائرة كيف تصف نفسها، فهي ليست دولة مستقلة ولا هي بجزء كامل الحقوق من دولة ما؛ إدارياً تعتبرها أمريكا جزءاً غير ملتصق من أراضيها، يحمل مواطنوها الجواز الأمريكي ولديهم جنسية مزدوجة بورتريكية وأمريكية، يدفعون الضرائب للحكومة الأمريكية لكنهم لا يملكون حق التصويت لإختيار الرئيس الأمريكي في الإنتخابات.

يعيش نصف شعبها خارج أراضيها والنصف الثاني ينقسم إلى ربعين؛ أحدهما يعيش تحت خط الفقر في أحياء أسفل المنتجعات، والفنادق السياحية التي يمتلكها الربع الثاني من أغنياء بورت ريكو الذين لهم أيادٍ طائلة في الحكومة المحلية.

في تلك الأحياء السفلية ازدهرت موسيقى الريغيتيون لتصدح كلماتها بثورة الشباب من سكّانها فكانت كلماتهم الجريئة التي تمجد حياة الليل وبطولة الفتوات ونشوة المخدرات والأوصاف الحسية لليال الحب وتحدي السلطة والثورة على السلطان.. وإن كان بدأ تسجيل الريغيتيون في بنما بإمكانيات متواضعة، فإنه في بورت ريكو وفي أحياءها الجانبية وجد أحدث الأجهزة التسجيلية والمحسنات الصوتية لينطلق نحو الدنيا، بكلمات أغانيه التي فيها الكثير من الجمل الوضيعة والمفردات الصارخة في جرأتها وتحديّها لقيم المجتمع المخملي.

بداية قوبلت هذه الموسيقى بحرب شعواء من الحكومة في بورت ريكو، ومن أثريائها المنتفعين منها، فسجن من عرف عنه التغني بها، وأغلقت الأستديوهات التي قامت بتسجيلها، لكن الثورة لا يمكن إخمادها ولا إسكات صوتها. سرعان ما انتشر الريغيتيون بنسخته البورتريكية وكلماتها الجريئة المتحديّة، وذاع صيت إستديوهاتها التسجلية بين جيرانها اللاتنيين وفي إسبانيا، فأصبح الجاذب الأول لزيارة بورتريكو والسياحة الفنية فيها.

أمام هذه الموجة من الشهرة التي إجتاحت بها أغنيات الريغيتيون العالم، والتدفق الكبير للسياح نحو الجزيرة والمال الذي تدفق معهم، لم يكن أمام الحكومة خيار سوى أن تغضّ الطرف عن الثورة الصارخة في كلماتها المتحدية، وتتقبل الطبقة المخملية الكلمات البذيئة التي تتغنى بها، وبفكّ قيد الرقابة على أغنية الريغيتيون أصبحت الرمز الأول لجزيرة السحر بورتريكو وأكثر ما عرفت به ونال مغنوها شهرة فاقت

حدود الأرض، فإشتهرت بالحياة الليلية الصاخبة وحفلات الشارع الراقصة التي أصبح الريغيتيون بطلها الأول، يجتمع الشباب في حلقات تضاء بأنوار الدراجات النارية حول مغني الريغيتيون ويشكلون موسيقاه مم تصفيق الأيادي و أبواق الدراجات.

حملت أغنية الريغيتيون بجانب ثورتها وجرأتها وصفاً تفصيلياً لشوارع بورت ريكو وأشهر حاناتها الليلية ومقاهيها وطرقات السفر فيها وأكلاتها وتمجيداً لأبرز الشخصيات من شبابها الذين وضعوا القوانين التي تحكم الحياة في الشوارع الخلفية والأحياء السفلية، فبات جزء من سحر جزيرة السحر، بورت ريكو، أن تسير في شوارعها وتسافر في طرقاتها وأنت ترى وتلمس كلمات أغنيات الريغيتون وقد تجسدت أمامك في مشاهد حيّة وأطعمة ومذاقات حقيقية.

توقفت النسخة التركية لأغنية "الغازولين"، والتي لم أفهم منها غير مطلعها عن الصدوح من مشغل الموسيقى. أصبحت الإشارة خضراء وإنفضّ زحام الشارع فكان أول شئ أقوم به فور عودتي إلى البيت أن ترجمت كلمات الأغنية الأصلية بلغتها الإسبانية، وسأختار لكم من خاتمتها هذه الأبيات، حين تتحول الأغنية إلى تحدٍّ وثورة غضب سافرة ضد المجتمع والسلطة:

إلى الأقلية
للذين هم أكثر وضاعة من الصيادين
للنساء اللائي لا تنطفئْ محركاتهن
أنا وأنت بيننا حساب قديم
أنت مدين لي بشئ تعرفه تماماً
معي قضيتك خاسرة، أنا لا أقدّم مبررات لأحد

في أُمسيةٍ محفوفةٍ بعبقِ القصيد

الشاعر علي الستراوي يؤكِّد: مع مشاعر الاغتراب يتشكَّل الألم بصورة إبداعٍ جديد

لم تُجانب بصيرة الأديب والفيلسوف العالمي «نافوليس» الصواب حينَ قال: «الشعر يداوي الجراح التي يُحدثها العقل»، ففي عالمٍ بات رازحًا تحت وطأة التفاصيل اليوميَّة الماديَّة؛ يأتي الشِّعرُ مُرممًا مشاعر الإنسان المُنهكة من صِراعاتها مع الواقع، ما يجعل منهُ اختيارًا موفقًا على جدول برنامج «مركز عبدالرحمن كانو الثقافي» في مُستهلّ برنامج أنشطة الفصل الأوَّل لموسمه الثقافي الثلاثين الذي افتُتحَ بأمسيةٍ شعريَّة للأديب والإعلامي «علي الستراوي».

زينب علي البحراني

مُمسكًا بدفَّة إدارة الأمسية كانت للشاعر/ علي النهَّام كلمتهُ التي قدَّم فيها نجم الأمسية الشعريَّة بقوله: «معنا اليوم شاعرٌ يبتكرُ القصيدة ابتكارا، يؤنسنُ الشِّعر، وما أقلّ الشعراء الذينَ يؤنسنونَ الشعر! عندما تقف على شُرفة قصيدته تُشاهدُ في مداها كُل تفاصيل الحياة البحرينية، تُشاهدُ النصَ مُلتصقًا بالأرض، ممزوجًا بالماء، مُضمخًا بالتراث والتاريخ والعادات والتقاليد، مُضمخًا بما يفعلهُ الناس من حوله.. علي الستراوي عندما يكتبُ للحبيبة لا ينسى الوطن، فلا تُميز أحيانًا بين الحبيبة المرأة، والحبيبة الوطن، والحبيبة القصيدة أيضًا. شاعرٌ مُخلصٌ لقصيدته، مُخلصٌ لقلمه، رسالتهُ الإنسان والحُب والوطن والجمال. من يُتابع نتاجهُ الأدبي سيُلاحظ أنهُ يتجدد في كُل إصدار، ويُطوّرُ من أدواته ولا يُكررُ نفسَه إلا بالرسالة والهدف وبعض التحليق.. إنهُ شاعر وكاتب وإعلامي وروائي، مُشرف تحرير المُلحق الثقافي بجريدة أخبار الخليج البحرينية، يكتُب الشعر الفصيح والنبطي، وله كتابات في مجال القصة القصيرة وأدب الطفل، بدأ عمله عبر نافذة الصحافة منذ عام 1992م، صدر لهُ باقة من الإصدارات منها: «المرافئ المُتعَبَة- 1995م»، «فضاء- 2001م»، «على راحة قلبي- 2008م»، «امرأة في ضيافة القلب- 2014م»، «النديد- 2018م»، «فصول لسيرة واحدة- 2019م»، «خاصرة الريح - 2022م»، «ذاكرة الماء- 2024م»، كتِبَ في صحُف خليجيَّة وتُرجمَت بعض نصوصه إلى اللغة الإنجليزيَّة ولُغات أُخرى..

انتقلَ زمام الحديث إلى الشاعر علي الستراوي ليقول: «الشعرُ ليسَ وليدُ لحظة بَل وليدُ سنوات، وكلما مرَّت السنوات وامتدَّ بالشاعر العُمر يرى نفسهُ بحاجةٍ إلى تطوير أنماط جديدة من شكل القصيدة، لقد أشارَ الشاعر علي النهام إلى ومضة من تجربتي الشعريَّة؛ لكن لنبدأ الآن بخوض بحر هذه التجربة معًا بقراءتي بعض تلكَ النصوص".. أنصتَ الحاضرون لنُخبةٍ من نصوصه الشعريَّة التي رافقها شيء من نثر التساؤلات والردود بين حين وآخر للتعريف بالشاعر ومسيرته الإبداعيَّة وتقريبها من الجمهور، إذ سُئلَ عن حقيقة انحيازه للقصيدة الفصيحة التي احتلَّت صفحات مُعظم إصداراته الأدبيَّة؛ فأجاب أن تجربتهُ الشعريَّة بدأت فعليًا منذ عام 1973م؛ لكنهُ كتب نصّهُ الفصيح الأوّل خلال ثمانيات القرن العشرين، ومرَّ بمُختلف المدارس الشعريَّة حتى رسَت سُفُن تجربته على شواطئ قصيدة النثر، ولم يطبع مجموعات شعره العامّي (النبطي) حتى الآن لأنهُ يرى أن الشعر الفصيح هو مشروعه الأوَّل.. وعن سر حضور رمزية الماء وقيمته كدلالة واضحة في أغلب نصوص مجموعاته الشعريَّة ولاسيَّما مجموعة "ذاكرة الماء"؛ أفصحَ عن أن كونه ابن قرية "البلاد القديم" الثريَّة بعيون المياه كان سببًا في اختزان ذاكرة طفولته صور السيدات اللواتي يخرجنَ بأطفالهن منذ الصباح الباكر بأوعية جلب الماء فوق رؤوسهن، إضافةً إلى أن التصاقه بوالدته خلال مرحلة الطفولة جعل من الذهاب معها إلى منابع المياه تجربةً يصعُب نسيانها رغم مرور الأعوام، وصار يرى في الماء وطنًا من دونه لا وجود للإنسان.

أمَّا عن إصداره "فصول لسيرة واحدة" فقد اعتبره تجربة تُركز على مشاعر الاغتراب، وأوضَحَ قائلاً: "مع مشاعر الاغتراب يتشكَّل الألم بصورة إبداع آخر جديد، فكل مشاعر الألم التي تستولي عليكَ بسبب الاغتراب تنبثق كبَراعم من الفرح والنور والتلاقي والانتظار.. إن هذا الإصدار تجربة لواقعٍ عشته سنوات، لكنني أراها بحاجة لمزيد من التوسُّع عبر نص روائي".

وعن سؤال: "أيهما يُضيف للآخر؛ الصحافة تُضيف للشِّعر أكثر أم العكس؟"؛ كان جوابهُ أن الوظيفة الصحفيَّة قد تكون أحيانًا مقبرةً للإبداع، لها وجهٌ مُشرق وهو قدرتها على جعل الإعلامي قريبًا من الناس لأنهُ نبضهم وصوتهم، لكنها تتسبب باختلاق مُشكلات وحروب ضد المُبدِع على ما يُمكن اعتباره مُجرَّد تفاهات.. وبعودة ذاكرته إلى أيَّام بدايات الانفتاح الإعلامي بعد عام 200م يرى أن كثيرين تعمّدت أقلامهم التربّص به ومُهاجمته بعُنف، لكنهُ استثمرَ مُعاناة تلكَ المرحلة ليصبّها على الورق في صورة نصوص شِعريَّة مؤثرة.

أمَّا عمَّا أضافتهُ ترجمة نصوصه لسيرته كمُبدِع؛ أعربَ عن أن أهم مُميزاتها تعريف الشعوب الأخرى بوجود هذا المُبدع وإطلاعهم على نماذج من أعماله؛ لكن على صعيدٍ فني قد لا يخدم هذا النص الشعري ما لم يكُن الناقل مُترجمًا مُبدعًا ومُتمكنًا قادرًا على إيصال فكرة الشاعر بأمانة للقرّاء، وأضاف: "لطالما استمتعنا بقراءة أعمال سرديَّة لادباء غير عرب بفضل الترجمة الممتازة، منهم همنغواي، مكسيم غوركي، إيميل زولا، فالعمل السردي إذا نُقل بمهارة وموهبة أديب تتذوقه بسعادة.. من منَّا لا يسعد بقراءة أعمال الروائيَّة شارلوت برونتي لأنها تُرجمَت بأيدٍ قديرة، لكن في الشعر قد لا نُصادف ترجمة جذّابة إلا بعض ترجمات رُباعيَّات الخيَّام لأن مُترجميها شُعراء منهم الشاعر إبراهيم العريّض".

«نجمة البحر».. ذاكرة الضحايا وحكاية الناجين

في الجزء الثاني من رواية (أولاد الغيتو) «نجمة البحر»، ينتقل إلياس خوري إلى ما يحدث في حيفًا من حيث أنها مدينة تلعب دورًا رمزياً ومكانياً وكجزء من الحكاية الفلسطينية، لتصبح شاهداً على النكبة ومرآة على التغيرات التي طرأت بعد التهجير. فنجمة البحر ليست مجرد اسم في الرواية،بل كيان يتماهى مع البحر نفسه، فهي تجسد القدرة على البقاء والتجدد رغم الألم والمعاناة، وعلى هذا الأساس يُكمل ما بدأه في الجزء الأول «اسمي آدم» ويغوص بشكل أعمق في مأساة الفلسطينين مستعرضاً حياة الشخصيات التي تعيش في ظل النكبة والتهجير القسري من خلال بطل الرواية، آدم دنون، وهو الراوي والكاتب الذي يستخدم الحكي كوسيلة لفهم هويته وكشف الماضي بالسخرية وجماليّات اللغة وتعقيدات الواقع وتناقضاته التي برع في صوغها، وكفلسطيني تمزقه الحياة بين المنفي والاغتراب الداخلي، فيقول «حكاية الوادي تختلف عن حكاية اللدّ وتُشبهها في الآن نفسه. فعلى غرار اللدّ حيث سيّج الجيش الإسرائيليّ المنتصرُ حيّاً صغيراً يقع في مثلث الجامع – الكنيسة – المستشفى، قام الجيش بتسييج الوادي بالأسلاك الشائكة، بعدما أمر جميع من تبقّى من سكّان حيفا بترك منازلهم والتجمُّع في وادي النسناس».

حميد الملا

حيفا، مدينة تم استباحتها بتفريغ سكانها من أهلها وبيوتها التي نُهبت وما عادوا يعرفون إلى أين يذهبون وإلى أي مكان يأوون فعاشوا في الذلّ، من غيتو مسيّج بالأسلاك الشائكة إلى حياة مسيّجة بالخوف وعدم الاطمئنان إلى المستقبل فوجدوا أنفسهم بلا روح وبلا أرض فضاعوا في دهاليز النكبة. «انهارت يافا وتشرّد ناسها ويركبوا القوارب التي أخذتهم إلى مجهول البحر والمنفى»، ومع ذلك لم تفارقهم رائحة حيفا وعبق رائحة الزيتون.

لم يترك الصهاينة للفلسطينيين أي شيء الاّ وسرقوه، «حتى المسبّات سرقوها، ما خلّولنا إشي»، «حتى الفلافل والحمّص صارا مطبخاً إسرائيلياً أصيلاً، ولم يعد ينقصنا سوى أن تسمُّوا الهولوكوست نكبة». لكنّ حيفا ستحفر في روحه وشم اللقاء بين كرملها وبحرها، كأنّ المدينة خرجت من البحر أو تستعد للغطس فيه. وسيبقى أسير ذلك الشعور بأنّه يعيش على جناح حمامة بيضاء تستلقي وسط أمواج البحر الأبيض.

فقد الفلسطينين مدنهم مثلما فقدوا أرواحهم، فتشردوا وأصبحت تلك المدن والقرى والبلدات، بالنسبة لهم أشبه بالجِنان المفقودة بعد اضطرارهم إلى مغادرتها وبعد أن صادر اليهود بيوتهم. وبسبب الاحتلال الذي أفقد الناس حياتهم لم يعد باستطاعتهم رواية ما جرى، «وبدلاً من أن يرووا ماذا جرى يبتلعون الكلام كما يبتلعون دموعهم». وكما وادي النسناس «تمّ احتلال البعنة ودير الأسد في سنة 1948، جمعوا أهل القريبتين في الساحة، ثم اختاروا أربعة رجال وساقوهم إلى الإعدام، إثنين من البعنة واثنين من دير الأسد. كما أن الكثير غادروا المدينة بحراً في أثناء الطرد الكبير الذي أعقب سقوط المدينة بأيدي قوات الهاغاناه". ولم يكن بوسع من تبقي من مواطنين التنقل من مدينة لأخرى الاّ بالتصريح من الحاكم العسكري، ومن في الغيتو لم يكن مسموحاً له بمغادرة الأسلاك الشائكة، اما من يخالف "سيكون مصيرهم كمصير الآخرين، أي العمل في المحاجر، وتعبيد طُرقات كوبونيات اليهود، والوقوف على أطلال أراضيهم المصادرة".

وبعد أن مات الإنسان ووُلد الوحش الصهيوني بالإستناد إلى أساطير وخرافات أرض الميعاد من خلال إضفاء القداسة على مشروع احتلال فلسطين، وتحويلها إلى وطن قوميّ لليهود ،وطرد شعبها منها، نجحوا في بناء الجحيم للفلسطينيين،

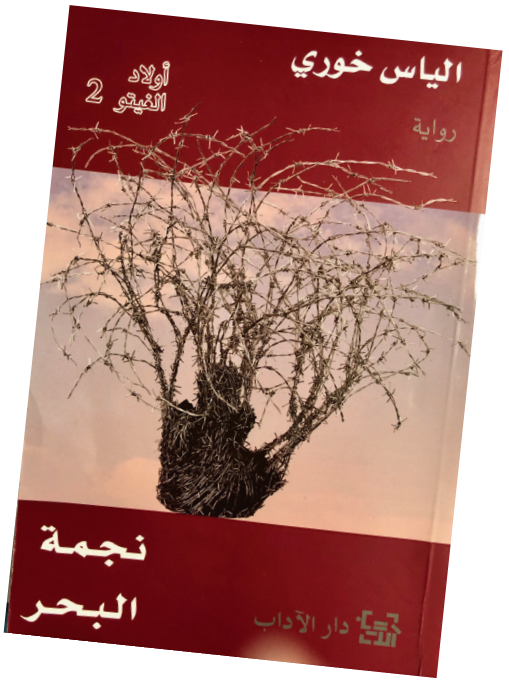

وبعد كلّ ذلك هل يحقّ للصهاينة الذين شرّدوا شعباً بأكمله أن يدّعوا أنّهم ورثة الضجايا؟

في الجزء الثاني من رواية (أولاد الغيتو) استطاع الياس خوري، بجدارة، وكما في الجزء الأول أن ينقل لنا صورة أدبية جميلة من معاناة الشعب الفلسطيني بربطه بين التجربة الفردية والجماعية وبطريقة أدبية فريدة، فقد حبك روايته من خلال سردية الناجين من مجزرة اللدّ عام 1948 ليتتبع الراوي حياتهم وبالتفصيل بعد أن هُجروا وهُمشوا ومن ثم كفاحهم من أجل العيش والتكيّف مع الواقع الجديد المفروض عليهم، فقد تابع الكاتب تلك الشخصيات عبر المذكرات والرسائل التي كتبها آدم دنون، مما أتاح للقراء الوقوف على الصراعات النفسية والسياسية التي يواجهها الفلسطينيون في ظل الاحتلال والنكبة.

وككل مأساة في التاريخ تظلّ الحالة الفلسطينية فريدة من نوعها عبرت عنها تلك الأصوات المتنوعة في الرواية من آدم دنون إلى حسقيل إلى ليلى وأم آدم وغيرها من الشخصيات، حيث مزج الكاتب بين تلك الشخصيات الواقعية والرمزية

ومن ثم أخذ كلّ منها يروي جانباً من الحياة في الغيتو في سياق المأساة التي يعيشها ألشعب الفلسطيني جيل بعد جيل، كما اشتغل الياس خوري على معادلة الذاكرة والنسيان من خلال محاولة الاحتلال محو ذاكرة ألشعب الفلسطيني، ليعيد هذه الذاكرة عبر قوة الحكي كوسيلة لمقاومة النسيان والحفاظ على الذاكرة متوقدة لدحض السردية الصهيونية، ونجح في إبقاء الهوية الفلسطينية حاضرة سواء داخل فلسطين في ظل الاغتراب أو في الشتات حيث يعيشون في حالة من الانفصال بين الماضي والحاضر، ففتح آفاقاً جديدة لفهم التجربة الفلسطينية في جميع ابعادها.

استطاع الكاتب أيضاً أن يسلط الضوء على مأساة الفلسطيني بطريقة إنسانية وفلسفية من خلال قصص الشخصيات الفردية وجعل من هذه الشخصيات مأساة لشعب بأكمله ذاق الحرمان وفقدان الأمل. ظلّت حيفا مرتبطة بسؤال الهوية والذاكرة كمساحة لاستكشاف كيف يمكن للفرد أن يعيش في مكان فقد هويته الأصلية كمدينة محتلة كانت رمزاً للاندماج الثقافي والجمال، والفلسطينيون الذين بقوا فيها يُعاملون كغرباء في مدينتهم بعد أن تحولت إلى فضاء للاغتراب والفقدان، ومن خلال حيفا استكمل الكاتب المأساة ليصل لباقي المدن الفلسطينية ابتداءاً من "الغيتو" في اللدّ، فارتبطت تلك المدن ببعضها في مصير مشترك، مما يجعل المدن الفلسطينية كأنها خريطة متشظية لوطن ضائع.

"نجمة البحر"، رغم كلّ شيء، رواية تبث الأمل في قدرة الفلسطينيين على الاستمرار والنهوض بعد كل خسارة رغم الصعاب العديدة، فهم يقاومون ويحاولون بكل ما استطاعوا من سبل رغم تكالب العالم ضدهم، فقد بيّن لنا الكاتب بأن الصراع مع العدو الصهيوني ليس مجرد صراع سياسي أو عسكري، بل هو مأساة إنسانية تتشابك فيها المصائر والهويات ليصبح في نهاية المطاف صراعاً وجودياً من قبيل التمسّك والإيمان بقضية التحرير، ولهذا استشهد الشاعرعبد الرحيم محمود، الشاعر الفلسطيني الذي مات مقاتلاً ضدّ الصهاينة في معركة الشجر في 13 حزيران 1948 وهو يقول: "سأحملُ روحي على راحتي/ وألقي بها في مهاوي الرّدى/ فإما حياة تُسر الصديقَ/ وإمّا مماتٌ يُغيظ العِدا/ ونفس الشهيد لها غايتان/ بلوغُ المنايا ونيلُ المنى."

التقدمي

التقدمي العدد 207 ـ فبراير 2025 السنة 23 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

الحزن.. شريكنا الوسيم

بتول حميد

لا أنتَ تُبدد ظلامي
لا أنا أحْجُب نورك..
أقرأُ ملامحي على وجهك..
كرسالةِ انتحار!
أقفُ على طرفِ عينيك..
كدمعة كبرياء!
الحزن شريكنا الوسيم
لا يبحثُ عنا في مرايا الناس
يحمينا من..
الفرح المبتذل
والأحاديث المكررة
ينقذنا من..
عناء نشر همومنا
على حبال الضحك..

****

كامرأة عاطفية
لي أخطاء بسيطة
كأنْ لا أتذكر حرارة الموقد
إلا بعد لسعة يدي
تماماً كما نسيت أصابعي في كفك
أحاولُ أن أتصرف كامرأة ناضجة
تحتفظُ في حقيبتها بمناديلَ معطرة
لتبكي بوقار خلفَ جنازة قلبِها..
امرأةٌ تقيسُ ذكرياتها
وهي تتسوقُ في متجرٍ نسائي متواضع..
تُكوّمُ أياماً كثيرة على الأرض
لتشتري ابتسامةً واحدة
أمام مرآةٍ عريضة
تقولُ أحلامي للفاترينة:
نحنُ متشابهتانِ جداً
لو وقفتُ إلى جانبِ أضوائك
لن يشعر الناس باختلافِنا..

وراء حاجزٍ زجاجي
نقف بكاملِ أناقتِنا
نرتدي أفضلَ ما لدينا من ملابس
نخفي خسائر الأوهام الفادحة
خلف يافطة العروض المُغريّة..

****

لو أنني رفعتُ ثوب روحي المتهدِل
قبل أن يكسر العمرُ ساقي؟

****

لا تقلقْ.. أنا أعتني بقلبي جيداً
أغسله بماءٍ بارد قبل النوم
لا يغفو على دفءِ الحبّ
بوهمِ المعرفة..
كل ما في الأمر أنّي..
نسيتُ ضحكتي
على يدِ نحاتٍ أعمى
لم يتلمسْ تفاصيل فمي